أثر القرآن فى اللغة والأدب

القرآن الكريم مفخرة العرب فى لغتهم، إذ لم يُتَحْ لأمة من الأمم كتاب مثله لا دينى ولا دنيوى من حيث البلاغة والتأثير فى النفوس والقلوب ، سواء حين يتحدث عن عبادة الله الواحد الأحد وعظمته وجلاله ، أو عن خَلْقه للسموات والأرض، أو عن البعث والنشور ، أو حين يشرِّع للناس حياتهم ويقيمها على نهج سديد يحقق لهم السعادة فى الدارين : الأولى والآخرة .

وكان الرسول صلى الله عليه وسلم لا يكاد يمضى فى تلاوته حتى يروع سامعيه ويأخذ بمجامع قلوبهم ؛ سواء أكانوا من أنصاره أم كانوا من أعدائه ، فقد رَوى الرواة أن الوليد بن المغيرة الذى كان من ألدِّ خصومه سمعه يتلو بعض آى الذكر الحكيم، فتوجَّه إلى نفر من قريش يقول لهم : « والله لقد سمعت من محمد كلاماً ما هو من كلام الإنْس ولا من كلام الجنّ ، وإن له لحلاوة وإن عليه لطُلاوة ، وإن أعلاه لمثمر وإن أسفله لمُغْدق»(١). وواضح أنه أحسَّ فى دقة أن آى القرآن تباين كلام الإنس من فصحائهم كما تباين كلام الجِنّ الذى كان ينطق به كُهَّانهم . إنه ليس شعراً موزوناً ، مما كان يدور على ألسنة شعرائهم ، ولا سجعاً مقفى مما كان يدور على ألسنة كهانهم وغيرهم من خطبائهم، إنما هو نمط وحده فُصِّلت آياته بفواصل تطمئن عندها النفس ، وتجد فيها وفى كل ما يتصل بها من ألفاظ رَوْحاً وعذوبة . إنه نمط باهر ، بل هو نمط معجز ببيانه وبلاغته ، يقول جَلّ ذكره : (قل لئن اجتمعت الإنس والجِنّ على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظَهيرا) (وإن كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين) . وفعلا عجز العرب عن معارضته عجزاً تاماً ، فمضوا يجرِّدون سيوفهم ويُغْمدون ألسنتهم ، ولم تلبث المعجزة الباهرة أن استعلت ،

---

(١) انظر تفسير الزمخشرى فى سورة المدثر. مغدق : كثير المياه .

ولم تلبث أضواؤها أن انتشرت فى الجزيرة العربية ، وسرعان ما بزغت على دروب العالم ومسالكه من أواسط آسيا إلى جبال البرانس مما هيأ لانقلاب واسع فى تاريخ اللغة العربية وأدبها ، ونُجْمل ذلك إجمالا ، فإن تفصيله لا يتسع له كتاب فضلا عن صحف معدودة .

وأول ما كان من آثار القرآن الكريم أنه جَمع العرب على لهجة قريش ، وحقًّا كانت هذه اللهجة تسود القبائل الشمالية فى الجاهلية ، غير أن هذه السيادة لم تكن تامة ، فقد كان الشعراء هم الذين يستخدمونها غالباً ، أما قبائلهم فكانت تلوك لهجاتٍ تختلف عن اللهجة القرشية قليلا أو كثيراً ، حسب قربها من مكة أو بعدها . فعَمِلَ القرآن على تقريب ما بين هذه اللهجات من فروق واستكمال السيادة للهجة القرشية ، إذ كان العرب يتلونه آناء الليل وأطراف النهار . وأخذت هذه اللهجة تعمُّ بين القبائل الجنوبية متغلغلة فى الأنحاء الداخلية التى كانت لا تزال تتكلم الحميرية . ولما فُتحت الفتوح ومُصِّرت الأمصار أخذت لهجته تسود فى مشارق العالم الإسلامى ومغاربه ، إذ كانت تلاوته فرضاً مكتوباً على كل مسلم ، وحثَّ الإسلام على حفظه وترتيله ، يقول عزّ شأنه : (ورتِّل القرآن ترتيلا) (ومَنْ أعرضَ عن ذكرى فإن له معيشة ضَنْكاً ونحشره يوم القيامة أعمى قال ربِّ لم حشرتنى أعمى وقد كنت بصيرا قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تُنْسَى) . وبذلك تحول المسلمون فى جمهورهم إلى حَفظة للقرآن ، يتلوه كبيرهم وصغيرهم حتى من سكنوا منهم الصحارى البعيدة ورءوس الجبال ، مما جعلهم ينطبعون بطوابعه اللغوية .

ومن غير شك أتاح هذا الحفظ للهجة قريش لا أن تنتشر فى العالم الإسلامى فحسب ، بل أن تُحْفَظ أيضاً وتظل على مرِّ العصور جديدة غَضَّة لا تبلى مع الزمان ، وأيضاً فإنها اكتسحت ما لقيت من لغات ، إذ اتخذتها شعوب — لا حصر لها — لسانَها ، فأصبح هو اللسان الأدبى من أواسط آسيا إلى المحيط الأطلسى . فكل من عاشوا فى هذه الأنحاء تكلموا العربية القرشية ، إذ حلَّت من ألسنتهم محل لغاتهم الأولى وأصبحوا عرباً يعبِّرون بالعربية عن مشاعرهم وعقولهم ، وكل ذلك بفضل القرآن الكريم ، فهو الذى حفظ العربية من الضياع ، ونشرها فى أقطار الأرض ، وجعلها لغة حية خالدة .

وثانى آثاره أنه حوّل العربية إلى لغة ذات دين سماوى باهر ، وبذلك أحلّ فيها معانى لم تكن تعرفها من قبله ولا كانت تعرف العبارة عنها ، وعادة يقف مؤرخو الأدب عند ألفاظ ابتدأها ابتداء مثل : الفرقان والكفر والإيمان والإشراك والإسلام والنفاق والصوم والصلاة والزكاة والتيمم والركوع والسجود، وغير ذلك من كلمات الدين الحنيف، ولكن من الحق أن المسألة لم تكن مسألة ألفاظ فحسب ، إنما كانت أيضاً مسألة دين جديد ، له مضمونه الذى لم يكن العرب يعرفونه ، من الدعوة إلى عباد الله واشتقاق الدليل عليها وعلى وحدانيته من خلق السموات والأرض ومن تاريخ الأمم وما يعى من عظات ومن تاريخ الأنبياء وما يحمل من عبر ، ومن تقرير البعث والنشور وبسط صُوَر الثواب والعقاب مستعيناً فى ذلك بالوجدانات الغريزية وبالعقول وتمييزها وما ينبغى أن يتهيأ لها من صواب الرأى. وإنه ليترقى دائماً من معرفة الحواس إلى معرفة الأذهان ، وفى خلال ذلك يشرّع للناس ما ينبغى أن تكون عليه حياتهم من نظام فى أُسَرهم وفى مجتمعهم بحيث تسودهم الرحمة والعدالة كما تسودهم أخوة عامة ، يبذل فيها الغنى للفقير من مال الله ما يعينه ، أخوة لا أسود فيها ولا أبيض ولا عربى ولا أعجمى . وكل هذه الدعوة الكريمة التى نزل فيها مائة وأربع عشرة سورة تُعَدُّ ابتداء ، بعباراتها ومعانيها . ونستطيع أن نقول إن كل ما كسبته العربية بعد ذلك من عظات عند الحسن البصرى وغيره من كبار الواعظين ، إنما هو من فيض القرآن ومعينه الغزير .

وبمرّ الزمن أخذت تتكون حوله علوم كثيرة ، ولا نبالغ إذا قلنا إن كل ما كسبه العرب من معارف إنما كان بفضل ما غرس فيهم القرآن من حب العلم كما قدمنا فى غير هذا الموضع . وقد أخذوا يشتقون منه مباشرة علوماً كثيرة كعلم القراءات وغيره من العلوم التى عرض لها السيوطى فى كتابه « الإتقان فى علوم القرآن » وهو يقع فى مجلدين يصور فيهما ما انبثق حوله من علوم مختلفة كعلم التفسير وعلم أسباب النزول وعلم نحوه وإعرابه وعلم عامّه وخاصّه مما هيأ لظهور علوم البلاغة . ومن العلوم المهمة المتفرعة منه علم الفقه وأصوله . ولا نبالغ إذا قلنا إن العلوم الإسلامية كلها إنما قامت لخدمته ، فهو الذى هيأ بقوة لنهضة العرب العلمية .

وثالث آثاره أنه هذّب اللغة من الحوشية ومن اللفظ الغريب ، فأقامها فى هذا الأسلوب المعجز من البيان والبلاغة ، ويكفى أن تعود إلى معلقة مثل معلقة لبيد أو إلى شعر قبيلة مثل هذيل وديوانها المطبوع لترى كيف أنه حقّا اختطّ أسلوباً جزلا ، له رونق وطلاوة ، مع وضوح القصد والوصول إلى الغرض من أقرب مسالكه . وهو أسلوب ليس فيه زوائد ولا فضول ، فاللفظ على قدر المعنى ، وكأنما رُسم له رسماً ، وهو لفظ لا يرتفع عن الأفهام ولا عن القلوب ، بل يقرب منها حتى يلمس الشغاف . ومما لا شك فيه أن القرآن هو الذى ابتدع هذا الأسلوبَ المحكم ، بل هذا الأسلوبَ السهل الممتنع الذى يلذ الآذان حين تستمتع له والأفواه حين تنطق به والقلوب حين تصغى إليه ، هذا الأسلوب الذى يميز عربيتنا ، والذى استطاع أن يفتح القلوب حين فتح العرب الأمصار فإذا أهلها مشدوهون ، وإذا هم يهجرون لغاتهم المختلفة إلى لغته الصافية الشفّافة . واقرأْ فى قوارعه حين يتحدث عن البعث والحساب والعذاب وفى ملاطفاته حين يتحدث عن الرحمة والمغفرة أو حين يتحدث إلى رسوله فإنك ستجد الأسلوب دائماً مطردا فى جودة الإفهام وروعته مع سهولة اللفظ ومتانته وسلامته من التكلف ، وانظر إلى قوله تعالى يتوعد المشركين وما ينتظرهم يوم يُبْعَثُون : (ونُفخ فى الصور فَصِعِقَ مَنْ فى السموات ومن فى الأرض إلا من شاء الله ثم نُفخ فيه أخرى فإذا هم قيامٌ ينظرون . وأشرقت الأرض بنور ربّها ووُضع الكتاب وجِىء بالنبيين والشهداء وقُضِيَ بينهم بالحق وهم لا يُظْلَمون . ووفّيت كل نفسٍ ما عملتْ وهو أعلم بما يفعلون . وسِيق الذين كفروا إلى جهنّم زُمَراً حتى إذا جاءوها فُتحت أبوابها وقال لهم خزَنَتُها ألم يأتكم رُسلٌ منكم يتلون عليكم آيات ربكم ويُنْذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا بلى ولكن حقّت كلمة العذاب على الكافرين . قيل ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فبئس مَثْوَى المتكبرين). وقارن بين ذلك وبين ملاطفته جَلّ وعز لرسوله فى سورة الضحى : (والضحى والليل إذا سَجَى ما ودّعك ربُّك وما قَلى وللآخرة خير لك من الأولى ولسوف يعطيك ربك فترضى ألم يجدك يتيماً فآوى ووجدك ضالاً فهَدى ووَجَدك عائلا فأغنى فأما اليتيمَ فلا تَقْهَرْ وأما السّائل فلا تنْهر وأما بنعمة ربِّك فحدِّثْ) فلن

تجد هنا ولا هناك كلمة متوعرة ولا لفظاً ضعيفاً ، إنما تجد روعة الأسلوب دائماً وجزالته وعذوبته ونصاعته ، مع دقة العبارات واستيفائها لمعانيها ، ومع الألفاظ المستحسنة فى الآذان وعلى الأفواه ، الألفاظ التى تغذى العقول برحيقها الصافى وتشفى القلوب والنفوس .

وهذا الأسلوب البالغ الروعة الذى ليس له سابقة ولا لاحقة فى العربية هو الذى أقام عمود الأدب العربى منذ ظهوره ، فعلى هَدْيه أخـــذ الخطباء والكتاب والشعراء يصوغون آثارهم الأدبية مهتدين بديباجته الكريمة وحُسْن مخارج الحروف فيه ، ودقة الكلمات فى مواضعها من العبارات بحيث تحيط بمعناها ، وبحيث تجلّى عن مغزاها ، مع الرصانة والحلاوة . وكان العرب — ولا يزالون — يتحفّظونهُ ، فهو معجمهم اللغوى والأدبى الذى ساروا على هُداه ، مهما اختلفت أقطارهم أو تباعدت أمصارهم وأعصارهم . يقول الجاحظ : « وكانوا يستحسنون أن يكون فى الخطب يوم الحفْل وفى الكلام يوم الجُمَع آىٌ من القرآن فإن ذلك مما يورث الكلام البهاء والوقار والرقة وسَلَسَ الموقع . وقال الهيثم بن عدى : قال عمران بن حِطّان : إن أول خطبة خطبتها عند زياد — أو عند ابن زياد — فأُعْجب بها الناس وشهدها عمى وأبى ، ثم إنى مررت ببعض المجالس فسمعت رجلا يقول لبعضهم : هذا الفتى أخطب العرب لو كان فى خطبته شىء من القرآن »[1] . وما ذلك إلا لفتنتهم بأسلوبه وإحكام نَظْمه ، فإنك تجد العبارة منه ، بل اللفظة ، حين تأتى فى سياق كلام كاتب أو خطيب أو شاعر تضىء ، كأنها الشهاب الساطع . ولا يزال أدباء العرب يَسْتقون من فيضه وينهلون من نبعه الغزير ما يقوِّم ألسنتهم ، ويكفل لهم إحسان القول بدون تكلف أو تعمل أو اجتلاب للألفاظ من بعيد .

٤

الحديث النبوى

الحديث هو كل ما حُكى عن النبى صلى الله عليه وسلم من قول أو فعل أو تقرير ، وهو بذلك ليس جميعه أقوالا له ، بل منـــه ما يسمّى باسم

---

(١) البيان والتبيين ١ / ١١٨ .

الآثار وهى ما رواه الرواة حكاية عن خُلقه أو عمله أو فى شأن من شئونه . وضم إليه الرواة كثيراً مما حُكى عن الصحابة وخاصة الخلفاء الراشدين ، إذ كانوا يقتدون به فى أقوالهم وأفعالهم عملا بقوله تعالى : (لقد كان لكم فى رسول الله أُسْوة حسَنةٌ) ويقول الجاحظ : « كانوا يكرهون أن يقولوا سُنَّة أبى بكر وعمر ، بل يقال : سنة الله وسنة رسوله »(١) . وفى ابن سعد عن صالح بن كيسان قال : « اجتمعت أنا والزُّهْرى ونحن نطلب العلم فكنا نكتب السُّنن ، قال : وكتبنا ما جاء عن النبى صلى الله عليه وسلم ، قال : ثم قال : نكتب ما جاء عن الصحابة فإنه سُنّة ، قال : قلت إنه ليس بسنة ، فلا نكتبه ، قال : فكتب ولم أكتب ، فأنجح وضيَّعت(٢) » .

وأهمية الحديث ترجع إلى أن القرآن الكريم يذكر أصول الدين الإسلامى وأحكامه مجملة دون تفصيل وأنه هو الذى يفصِّلها ، فالقرآن مثلا لم يذكر تفاصيل الصلاة والزكاة وهما من أهم أركان الإسلام ، بل اكتفى بمثل قوله تعالى (وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة) وفصَّل الحديث أوقات الصلاة وكيفياتها ، كما فصل القواعد والأسس التى يجب اتباعها فى جَمْع الزكاة وتوزيعها . وهذان أمران من مئات الأوامر التى تناولتها أفعال الرسول وأقواله . فهو الذى بَيَّن أحكام الشريعة وصوّرها عمليا كما صور المبادئ الأخلاقية والاجتماعية والإنسانية التى جاء بها الرسول . وبذلك كان مكملا للقرآن ، وخاصة حين تُجْمَل أحكامه أو يَنْبهم المراد من معنى بعض آياته ، فقد رُوى عن على بن أبى طالب أنه لما أرسل ابنَ عباس ليحاجّ بعض الخوارج أوصاه بأن لا يعارضهم بالقرآن لأنه حمّالُ أوجهٍ ، ويحتمل معانى مختلفة ، وبأن يكون عماده السُّنّة فلا يجدوا منها مخرجاً(٣) .

وكان الصحابة يروون حديث الرسول صلى الله عليه وسلم فى حياته وكان هو نفسه يحثهم على ذلك ، فعن ابن عباس قال : قال رسول الله : « اللهم ارحم خلفائى قلنا

---

(١) الحيوان للجاحظ (طبعة الحلبى) ١/٣٣٦ .
(٢) طبقات ابن سعد (طبعة أوربا) ج ٢ ق ٢ ص ١٣٥ .
(٣) نهج البلاغة (طبعة بيروت) ٢/١٤٦ .

يا رسول الله ومن خلفاؤك ؟ قال : الذين يروون أحاديثى ويعلمونها الناس[1] » . وكان كثيراً ما يقول للوفود : احفظوا أحاديثى واخبروا بها مَنْ وراءكم من العشائر ، وتتكرر فى خطبة حجة الوداع المشهورة : « ألا فليبلغ الشاهد منكم الغائب » . وكان يُرْسل فى القبائل رسله ليعلموهم القرآن وسنته . ومرّ بنا أنه لما أرسل معاذ بن جبل إلى اليمن سأله : بم تَقْضى ؟ فقال : بكتاب الله ، فقال : فإن لم تجد ؟ قال : فبسنة رسوله . فالحديث كان متداولا فى حياة الرسول وكان الرسول يأمر بنشره وإذاعته فى الناس ، حتى يقفوا على أوامر الدين ونواهيه وما أخذهم به من آداب ونظم .

ولما توفّى الرسول وانتشر الصحابة فى الأمصار الإسلامية أخذوا يبلّغون كتاب الله وسنة رسوله أينما ذهبوا، وكادوا لا يتركون صغيرة ولا كبيرة من أفعاله وأقواله إلا أحصوها وتناقلوها ، واشتهر من بينهم جماعة بكثرة ما رُوى عنهم فى هذا الباب مثل أبى هريرة وعائشة وعبد الله بن عمر وعبد الله بن عمرو وابن عباس وأنس بن مالك ، وكثير غيرهم . حتى إذا ذهب الصحابة خلفهم التابعون يحكون ما سمعوه منهم . وبذلك أخذ الحديث ينتقل من جيل إلى جيل، فالمحدّث يقول : سمعت من فلان عن فلان أو حدثنى أو أخبرنى أو أنبأنى . ومن ثمّ تكوّن سَنَد الحديث وتكونت السلاسل الطويلة من رُواته ، تلك السلاسل التى تضخمت مع مر الزمن بعامل طول المسافة بين المحدّث ومن ينقل عنهم حتى عصر الرسول. وقد يكون للحديث الواحد أكثر من سند بسبب تفرُّق الصحابة فى الأرض ، وبذلك تعددتْ طرق رواية الحديث ، كما تعدد حامليه ، وأصبح يحتوى متناً وسنداً يطول ويقصر . وطبيعى أن يسمَّى حديثاً لأنه كان يعتمد على الرواية والنقل الشفوى ، وهو يسمَّى أيضاً السنة ، وهى فى اللغة العادة ويراد بها العادة المقدسة التى رُويت عن النبى وصحابته، وهى تُسْتَعْمل فى القرآن بمعنى تقاليد الأسلاف الأولين وقد حوّلها المسلمون إلى التقاليد التى حُكيت عن الرسول وصحبه .

ومما لا ريب فيه أن بعض أحاديث الرسول دُوِّن فى حياته، وخاصة تلك

---

(١) انظر فى هذا الحديث مقدمة القسطلانى على البخارى .

التى تتصل بالزكاة حين كان يكتب إلى بعض الأقوام يبيِّن لهم فرائض دينهم ، على نحو ما نجد ذلك فى بعض كتبه المأثورة[١] . ورخَّص النبى فى بعض الأحوال لنفر من الصحابة أن يكتبوا حديثه ، فقد أذن لرجل من الأنصار شكا إليه سوء حفظه لما يسمع منه أن يستعين على حفظه بيمينه[٢] ، وعن رافع بن حُديج قال : « قلنا يا رسول الله إنا نسمع منك أشياء أفنكتبها ؟ قال : اكتبوا ولا حرج[٣] » ، وعن عبد الله بن عمرو بن العاص أنه استأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكتب ما يسمع من حديث فأذن له[٤] ، وكان يسمِّى صحيفته التى كتبها عن الرسول الصادقة[٥] . وفى بعض الأحاديث أن الرسول أمر أصحابه أن يكتبوا لرجل يمنىً خطبةً سمعها منه ، تضمنت بعض الأحكام الدينية[٦] . على أنه ينبغى أن لا نبالغ فى تصور ما كان من هذه الكتابة لحديث الرسول فى حياته ، فإنها كانت محدودة جداً ، وكان الرسول يَنْهى أن تصبح كتابةُ حديثه عامةً ، حتى لا يختلط بالقرآن ، وهذا هو السبب فيما أُثر عنه من أقوال تنهى عن تدوين حديثه من مثل قوله لأصحابه : « لا تكتبوا عنى شيئاً إلا القرآن فمن كتب شيئاً فليمحه »[٧] .

ومما يدل دلالة قاطعة على أن جمهور الحديث لم يُكتب على عهد الرسول أن نجد عمر بن الخطاب يستشير الصحابة فى كتابته ، وطفق يستخير الله فيها شهراً ثم أصبح يوماً وقد عزَم الله له فقال : إنى كنت أردت أن أكتب السُّنن وإنى ذكرت قوماً كانوا قبلكم كتبوا كتباً فأكبُّوا عليها وتركوا كتاب الله تعالى ، وإنى والله لا أُلْبِس كتاب الله بشىء أبداً »[٨] . فترك كتابة السنن ، وتبعه كثير من الصحابة يروون الحديث ويكرهون أن يكتبه سامعهم مثل زيد بن ثابت وأبى هريرة وأبى سعيد الخُدْرى وأبى موسى الأشعرى ، واقتدى بهم كثير من التابعين وإن كانت أخذت تظهر عند بعضهم بوادر كتابته ، ولكنه على كل حال لم يدوَّن فى القرن الأول للهجرة تدويناً عاماً . وظل الأمر على ذلك حتى تولى عمر بن عبد العزيز

---

(١) انظر فى ذلك مجموعة الوثائق السياسية فى العهد النبوى والخلافة الراشدة لحميد الله (طبع لجنة التأليف والترجمة والنشر) .

(٢) تقييد العلم للخطيب البغدادى (طبعة يوسف العش) ص ٦٥ .

(٣) تقييد العلم ص ٧٢ .

(٤) تقييد العلم ص ٧٤ وما بعدها

(٥) تقييد العلم ص ٨٤ .

(٦) نفس المصدر ص ٨٦ .

(٧) تقييد العلم ص ٢٩ وما بعدها .

(٨) نفس المصدر ص ٤٩ وما بعدها .

الخلافة (٩٩ — ١٠١ هـ) فأمر بتدوينه . جاء فى حاشية[١] الزرقانى على موطأ مالك : « لم يكن الصحابة ولا التابعون يكتبون الأحاديث إنما كانوا يؤدونها لفظاً ويأخذونها حفظاً إلا كتاب الصدقات والشىء اليسير .. حتى خيف عليها الدروس وأسرع فى العلماء (من حفاظها) الموت ، فأمر عمر بن عبد العزيز أبا بكر الحزمى (والى المدينة) فيما كتب إليه : أنانظرْ ما كان من سُنَّة أو حديث فاكتبْه . وقال مالك فى الموطأ رواية محمد بن الحسن : أخبرنا يحى بن سعيد أن عمر بن عبد العزيز كتب إلى أبى بكر محمد بن عمرو بن حزم ، أن انظرْ ما كان من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم أو سُنَّة أو نحو هذا فاكتبه لى فإنى خفت دروس العلم وذهاب العلماء ، علّقه البخارى فى صحيحه، وأخرجه أبونُعَيْم فى تاريخ أصبهان بلفظ : كتب عمر إلى الآفاق : انظروا حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجمعوه » . وتوفّى عمر قبل أن يصله عمل ابن حزم فى هذا الصدد . وأول مدوِّن للحديث بالمعنى الدقيق لكلمة تدوين هو ابن شهاب الزهرى[٢] المتوفى سنة ١٢٤ للهجرة . وأخذ التصنيف والتأليف فى الحديث يكثر بعده ويتسع ، وسرعان ما ظهر موطأ مالك ثم تتابعت صِحاحه مثل صحيح البخارى وصحيح مسلم .

و إنما قدمنا ذلك ليقف القارئ على أن الحديث تأخر تدوينه ، وكان طبيعيًّا أن يتداوله الأعاجم والمولدون قبل هذا التدوين حتى ينهجوا نهج الرسول ويقتفوا أثره ، فزادوا ونقصوا فى عبارته وقدموا فى كلماتها وأخّروا وأبدلوا ألفاظاً بألفاظ ، ومن أجل ذلك رأى أئمة اللغة والنحو من علماء البصرة والكوفة وبغداد أن لا يحتجوا بشىء من الحديث فى إثبات لغة العرب والاستدلال على القواعد التى دونوها ، لأن الأحاديث لم تكن تُرْوَى بألفاظها كما جاءت عن الرسول إنما كانت — تُرْوَى غالباً — بمعانيها ،ومن أجل ذلك كان كثير من الأحاديث تتعدد رواياته .

---

(١) انظر الحاشية ١/١٠ .

(٢) انظر فى ترجمته كتاب الأنساب للسمعانى ٢٨١ وابن خلكان (طبعة بولاق) ١/٥٧١ وتهذيب التهذيب لابن حجر ٩/٤٤٥ وتذكرة الحفاظ للذهبى ١/١٠٢ والمعارف لابن قتيبة ص ٢٣٩ وصفة الصفوة ٢/٧٧ .

على أن طائفة من الأحاديث رُويت روايةَ تواتر، ومن ينظر فى هذه الأحاديث وما نصَّ عليه العلماء بأنه رُوِىَ بلفظه يعرف أنه عليه السلام أوتى جوامع الكلم ، وحقًّا ما يقوله الجاحظ من أنه « لم يتكلم إلا بكلام قد حُفَّ بالعصمة وشُيِّد بالتأييد ويُسِّر بالتوفيق » (١) ويضرب الجاحظ لبيانه الرائع بعض الأمثلة من حديثه الذى قَلَّ عدد حروفه وكثرت معانيه ، فمن ذلك قوله للأنصار : « أما والله ما علمتكم إلا لتقلُّون عند الطمع ، وتكثرون عند الفزع » وقوله « المسلمون تتكأفأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم، وهم يدٌ على مَنْ سواهم »، وقوله : « لا تزال أمتى صالحاً أمرها ما لم ترَ الأمانة مغنماً والصَّدَقة مغرماً » ، وقوله « المستشار مؤتمن » ، وقوله : « إن أحبَّكم إلى وأقربكم منى مجالس يوم القيامة أحاسنُكم أخلاقاً الموطَّئون أكنافاً الذين يَألفون ويُؤْلفون . وإن أبغضكم إلىّ وأبعدكم منى مجالس يوم القيامة الثرثارون المتَفَيْهقون » ، وقوله « لا تَجْن يمينك على شمالك » وقوله : « ما أملقَ تاجر صَدوق » وقوله : « رَحِمَ الله عبدًا قال خيرا فغنمَ أو سكت فسلمَ » وقوله: « إن الله يرْضَى لكم ثلاثا ويكره لكم ثلاثا : يرْضَى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً وأن تعتصموا بحبله جميعاً ولا تفرّقوا وأن تُناصحوا من ولاّه الله أمركم، ويكره لكم قيلَ وقالَ وكثرة السؤال وإضاعة المال » وقوله : « يقول ابن آدم : مالى مالى ، وإنما لك من مالك ما أكلت فأفنيتَ أو لبستَ فأبليتَ أو وهبتَ فأمضيتَ » وقوله : « إن قوما ركبوا سفينة فى البحر فاقتسموا فصار لكل رجل موضع ، فنقَرَ رجل موضعه بفأس ، فقالوا : ما تصنع ؟ قال : هو مكانى أصنع به ما شئتُ ، فإن أخذوا على يديه نجا ونجوا وإن تركوه هلك وهلكوا » وقوله : « حصِّنوا أموالكم بالزكاة وداووا مرضاكم بالصدقة » وقوله : « من ذَبَّ عن لحم أخيه بظهر الغيب كان حقا على الله أن يحرِّم لحمه على النار » وقوله : « أوصانى ربى بتسع : أوصانى بالإخلاص فى السرِّ والعلانية، وبالعدل فى الرّضا والغضب ،وبالقصد فى الغنى والفقر ، وأن أعفو عمن ظلمنى ، وأعطى من حَرَمنى ، وأصِل من قطعنى ، وأن يكون صمتى فكراً ونطقى ذكراً ونظرى عِبراً » وقوله : « إن الأحاديث ستكثر

---

(١) البيان والتبيين ٢/١٧ .

على أن طائفة من الأحاديث رُويت رواية تواتر، ومن ينظر فى هذه الأحاديث وما نصّ عليه العلماء بأنه رُوِىَ بلفظه يعرف أنه عليه السلام أوتى جوامع الكلم ، وحقًّا ما يقوله الجاحظ من أنه « لم يتكلم إلا بكلام قد حُفّ بالعصمة وشُيِّد بالتأييد ويُسِّر بالتوفيق » (١) ويضرب الجاحظ لبيانه الرائع بعض الأمثلة من حديثه الذى قَلّ عدد حروفه وكثرت معانيه ، فمن ذلك قوله للأنصار : « أما والله ما علمتكم إلا لتقلُّون عند الطمع ، وتكثرون عند الفزع » وقوله « المسلمون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم، وهم يدٌ على مَنْ سواهم »، وقوله : « لا تزال أمتى صالحاً أمرها ما لم ترَ الأمانة مغنماً والصَّدَقة مغرماً » ، وقوله « المستشار مؤتمن » ، وقوله : « إن أحبّكم إلى وأقربكم منى مجالس يوم القيامة أحاسنُكم أخلاقاً الموطّئون أكنافاً الذين يألفون ويُؤْلفون . وإن أبغضكم إلىّ وأبعدكم منى مجالس يوم القيامة الثرثارون المتفيهقون » ، وقوله « لا تَجْن يمينك على شمالك » وقوله : « ما أملقَ تاجر صَدوق » وقوله : « رَحِمَ الله عبداً قال خيرا فغنمَ أو سكت فسلمَ » وقوله: « إن الله يرْضَى لكم ثلاثا ويكره لكم ثلاثا : يرْضَى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً وأن تعتصموا بحبله جميعاً ولا تفرّقوا وأن تُناصحوا من ولاّه الله أمركم، ويكره لكم قيلَ وقالَ وكثرة السؤال وإضاعة المال » وقوله : « يقول ابن آدم : مالى مالى ، وإنما لك من مالك ما أكلت فأفنيتَ أو لبستَ فأبليتَ أو وهبتَ فأمضيتَ » وقوله : « إن قوما ركبوا سفينة فى البحر فاقتسموا فصار لكل رجل موضع ، فنقرَ رجل موضعه بفأس ، فقالوا : ما تصنع ؟ قال : هو مكانى أصنع به ما شئتُ ، فإن أخذوا على يديه نجا ونجوا وإن تركوه هلك وهلكوا » وقوله : « حصّنوا أموالكم بالزكاة وداووا مرضاكم بالصدقة » وقوله : « من ذَبَّ عن لحم أخيه بظهر الغيب كان حقا على الله أن يحرّم لحمه على النار » وقوله : « أوصانى ربى بتسع : أوصانى بالإخلاص فى السرّ والعلانية، وبالعدل فى الرّضا والغضب ،وبالقصد فى الغنى والفقر ، وأن أعفو عمن ظلمنى ، وأعطى من حَرمنى ، وأصِل من قطعنى ، وأن يكون صمتى فكراً ونطقى ذكراً ونظرى عِبراً » وقوله : « إن الأحاديث ستكثر

---

(١) البيان والتبيين ٢/١٧ .

بعدى كما كثرت على الأنبياء من قبلى، فما جاءكم عنى فاعرضوه على كتاب الله فما وافق كتاب الله فهو عنى قلته أو لم أقله » . ويذكر الجاحظ طائفة من أقواله التى دارت بين الناس دوران الأمثال والتى تُعَدُّ ذخيرة أدبية رائعة من نحو قوله صلى الله عليه وسلم (١) :

يا خيلَ الله اركبي — مات حَتْف أنفه (٢) — لا تنتطح فيه عَنْزان — الآن حَمِيَ الوطيس (٣) — كل الصَّيْد فى جوف الفَرَا (٤) — هُدْنة على دَخَن وجماعة على أقذاء (٥) — لا يُلْسَع المؤمن من جُحْر مرتين . ومن أمثاله أيضاً : إن المُنْبَتَّ لا أرضاً قَطَع ولا ظهرا أبقى (٦) — يا كم وخضراءَ الدِّمن (٧) — الناس كإبلٍ مائة لا تجد فيها راحلة (٨) .

وإذا كنا قد عرضنا فى غير هذا الموضع لأثر القرآن فى اللغة والأدب فإن للحديث هو الآخر أثراً فيهما ، وإن كان لا يبلغ أثر القرآن العظيم ، لأنه دونه فى البلاغة، وإن كان قائله أبلغ العرب قاطبة وأفصحهم . ويمكن أن نلاحظ أثره فى أنه عاون القرآن الكريم فى انتشار العربية ، وفى حفظها وبقائها ، وكان له أثر أيضاً فى توسيع المادة اللغوية بما أشاع من ألفاظ دينية وفقهية لم تكن تُسْتَخْدم من قبل هذا الاستخدامَ الخاص ، وقد أقبل العلماء فى مختلف الأمصار الإسلامية ، وعلى تعاقب الأعصار ، يدرسونه ويتحفظونه ويشرحونه ويستنبطون منه . وحقًّا أن كثرته رُويت بالمعنى ، ولكن هذا لا يقلل من قيمته اللغوية ، إذ كانت ألفاظه تدور فى عصور سبقت عصر فساد اللغة ، وهى من أجل ذلك ألفاظ عربية سليمة ، وبالتالى هى كنز ثمين . وقد استمد المتأدبون من هذا الكنز فى رسائلهم وأشعارهم ما أضاف إليها — على مر العصور — رونقاً وطلاوة ، وما يزال ذلك شأنهم إلى اليوم . وقد

---

(١) انظر البيان والتبيين ٢/١٥ وراجع كتب الأمثال .

(٢) مثل يضرب لمن مات على فراشه .

(٥) دخن : حقد .

(٦) المنبت : من أسرع بناقته حتى هلكت فلم يقض ما يبغى من حاجة أو من سفر .

جاءت فيه أحرف غريبة من لغات القبائل ، إذ كان الرسول يخاطب بعض وفودهم بلغاتهم ، وبقيت من ذلك آثار مختلفة كحديثه المشهور الذى أبدل فيه أل بأم كما يصنع بعض العرب من حمير إذ قال : « ليس من امْبِرِّ امْصيام فى امْسَفر » ، أى ليس من البر الصيام فى السفر . ومن أجل هذا وأمثاله ألف العلماء فى غريبه كتباً ، من أهمها كتاب غريب الحديث للقاسم بن سلام . ومن تأثيره أيضاً نشأة الكتابة التاريخية لا فى السيرة النبوية فحسب ، بل أيضاً فى تراجم المحدِّثين للحكم لهم أو عليهم فيما نُقل عنهم . ومن غير شك هو السبب فى أن المسلمين أشد الأمم عناية بتواريخ رجالهم على نحو ما نعرف فى مثل طبقات ابن سعد وأُسْد الغابة والإصابة والاستيعاب وميزان الاعتدال للذهبى . فالحديث هو الذى فتَح باب الكتابة التاريخية وهيَّأ لظهور كتب الطبقات فى كل فن . وهذا غير ما نشأ عنه من علوم الحديث وغير مشاركته فى علوم التفسير والفقه ، مما بعثَ على نهضة علمية رائعة .

القرآن أول كتاب دوِّن فى اللغة العربية ؛ فدراسته ضرورية لتاريخ الأدب ؛ لأنه مظهر الحياة العقلية والحياة الأدبية عند العرب فى أواخر القرن السادس وأوائل القرن السابع للمسيح. وهو واضع النثر الفنى ومنبع المعانى والأساليب والمعارف التى شاعت فى أدب ذلك العصر . نزل بأسلوب بديع لا عهد للآذان ولا للأذهان بمثله ؛ فلا هو موزون مقفى ، ولا هو سجع يتجزأ فيه المعنى فى عدد من الفقَر ، ولا هو مرسَل يَطَّرد أسلوبه دون تقطيع ولا تسجيع ؛ إنما هو آيات مفصلة متزاوجة يسكت عندها الصوت ويسكن الذهن لاستقلالها بالمعنى وانسجامها مع روح القارىء ووجدانه . فلما سمعه العرب وهم زعماء القريض وأمراء البيان أكبروه وأنكروه ، وعجزوا عن أن يردوه إلى نوع من أنواع الكلام المعروفة ؛ فقالوا مضطربين : إنه شعر شاعر أو فعل ساحر أو سجع كاهن . ووصفهم إياه بأنه نوع من هذه الأنواع التى تشترك فى فتنة العقل دليل على فعله القوى فى نفوسهم .

والقرآن باعتباره كتاباً أُحكمت آياته ثم فُصِّلت من لدن حكيم خبير ، لا يجرؤ النقد البيانى على أن يطير فى جنباته ، وباعتباره معجزة الرسول تحدّى به العرب أن يأتوا بسورة من مثله ، تورع المسلمون عن أن يقلدوه فراراً من تهمة المعارضة ، وتنزيهاً لكلام الخالق أن يتشبه به كلام المخلوق . ومما لا ريب فيه أن بعض المشركين والمتنبئين قد عارضوه إبطالا لحجته ، أو انتهاجا لخطته ، على نحو ما ورد عن مسيلمة : « يا ضفدع نِقى ما تنقين ، فلا الماء تكدرين ، ولا الشارب

تمفعين » ، ولـكن الرواة أغفلوا ذلك إما تورعاً وإما ترفعاً ، كما فعلوا بمعارضة ابن المقفع والمتنبي وأبى العلاء إن صح أنهم فعلوا ذلك . وهناك طائفة من متأخرى الـكتاب حاولوا الجرى على أسلوب القرآن إعجاباً به فما حركوا فى النفوس غير السخر والضجر لنزولهم عن رتبته وعجزهم عن لحاقه فـكفوا . ولذلك لم يكن تأثير القرآن كبيراً من جهة إحداثه مذهباً كتابياً يتبعه الناس ويدور عليه النقد. أما تأثيره القوى فـكان فى نقله النثر من تلك الجمل القصيرة المسجوعة المفـككة إلى تلك الصور الأنيقة التى تقرأها فى أحاديث الرسول وخطبه وكتبه ، وفى خطب الصحابة والتابعين ورسائلهم : جمل متزاوجة ، متناسقة ، متطابقة ، متخيرة الألفاظ ، حسنة التأليف ، رائعة التشبيه ، منطقية الغرض ، تنفذ من العقل والقلب إلى الصميم . كذلك أثر فى النثر بوضعه المُثُل لمعالجة القصص والوصف والاشتراع والجدل المنتج والموعظة الحسنة ، واستحداثه ألفاظاً وتراكيب وموضوعات لا يعرفها العرب ، فظلّت آيُه على طوال القرون قوة للخطيب وحلية للمنشىء ، يرصع بها كلامه فتتميز بطلاوتها ونفاستها كما تتميز اللؤلؤة الفريدة فى عقد من الجِزْع .

أسلوبه

نزل القرآن منَجَّما فى نحو ثلاث وعشرين سنة على حسب ما يعرض من الحوادث ؛ منها ثلاث عشرة سنة فى مكة نزل فى خلالها ثلاث وتسعون سورة، وعَشرة بالمدينة بعد الهجرة نزل فيها إحدى وعشرون . هذه السور الأربع عشرة ومائة تختلف فى موضوعها وأسلوبها باختلاف الزمان والمـكان والحادث ، فـكان من الحوادث والقضايا ما ينزل فيه الآية والآيات ، ومنها ما ينزل فيه السورة . وكان الصحابة يحفظون أو يكتبون ماينزل كلاً على حدة ، فلم يكن القرآن إذن خاضعاً لقانون التأليف من وحدةِ الموضوع ووحدة الأسلوب وعقد الأبواب على مقتضى الأغراض ، وإنما تجمَّع على هذه الصورة ودُوِّن بعد وفاة الرسول تبعاً

لما كان يجده الكاتبون أولاً فأولا محفوظاً فى الصدور أو مسطوراً فى الصحف. ثم رتب بوجه التقريب على حسب الطول والقصر لا على حسب تنزيله ولا على حسب موضوعه ، فتكررت بعض القصص لتأكيد الإنذار أو لتشابه الأسباب، وتَشَتَّتَتْ وحدة الموضوع والأسلوب لنزوله متفرقاً فى مكانين مختلفين وأزمان متراخية وأغراض متجددة ، وهو فى ذلك يختلف عن التوراة والإنجيل .

تشتمل السور المكية ـ وهى ثلثا القرآن ـ على أصول الدين وتشتمل المدنية على أصول الأحكام . وأصول الدين جُمَّاعها الإيمان بالله ورسوله واليوم الآخر ، والائتمار بالمعروف والانتهاء عن المنكر ؛ وهى أمور تتصل بالعاطفة والوجدان ؛ فالدعوة إليها والحث عليها يقتضيان الأسلوب الشعرى القوى الموثَّق الفعال بالقلب بقصصه الواعظة ، وحكمه البالغة ، وأمثاله السامية ، ووعده الخالب ، ووعيده المخيف ، ولذلك تجد أسلوبها قصير الآى ، كثير السجع ، رائع التشبيه ، قوى المجاز . وأما أصول الأحكام من عبادات ومعاملات فهى موضوع السور المدنية ، والتعبير عنها يقتضى الأسلوب المحكم الجزل الهادىء ؛ وهدوء البيان يستلزم طول الجمل ، وتفصيل الآى ، ووضوح الغرض . على أن القرآن لا يصطنع فى التشريع أساليب الفقه ولا تعريفات القانون ، وإنما يسوق الأحكام فى معارض الدعاية والهداية ، لأن قصده الأول إنما هو إعلان التوحيد وإظهار الدين ، وتطهير القلوب من أوضار الضلالة والجهالة والشرك ؛ ولأن الدولة الجديدة لم تكن فى عهد الوحى من الاتساع وتشعب الاجتماع بحيث تطلب التشريع المفصل .

إعجازه

تناصرت الأدلةُ وانعقد الإجماع على أن القرآن معجز ، وإنما الخلاف فى سبب إعجازه . فمن قائل إنه شرفُ الغرض ، وتَنَوُّع القصد ، والإخبار بالغيب . ومن قائل إنه الفصاحة الرائعة ، والمذهب الواضح ، والأسلوب الموثَّق

ونحن إلى هذا الرأى أميَلُ . فإن القوم الذين تُحُدُّوا به لم يكونوا فلاسفة ولا فقهاء حتى يكون عجزهم عن الإتيان بمثله معجزة ؛ إنما كانوا بُلَغاء مَصادعَ ، وخطباء مَصاقع ، وشعراء فحولاً . وفى القرآن من دقة التشبيه والتمثيل ، وبلاغة الإجمال والتفصيل ، وروعة الأسلوب ، وقوة الحِجاج ، مايُعجز طَوْقَ البشر ، ويرمى المعارضين بالسُّكات والحَصْر .

لغته

لغة قريش هى الأصل فى لغة القرآن ، لأن النبى وُلد فيها وبُعث منها ، ولأن لغتها تفضل سائر اللغات بحلاوة الجرْس ودقة الوضع وإحكام النظم ، وقبيلتها تشرُف سائر القبائل بجوار البيت وسقاية الحاج وعمارة المسجد ، ولكنه نزل كذلك بلغة بنى سعد بن بكر ؛ لأن الرسول (ص) استرضع فيهم ، وهى إحدى لغات العجز[1] من هوازن وأفصحها ، لقوله صلى الله عليه وسلم : أنا أفصح العرب بَيد أنى من قريش ، وأنى نشأت فى بنى سعد بن بكر .

وجاء فى القرآن بعض ألفاظ من لغات عربية أخرى كقوله تعالى « لايلِتكم من أعمالكم شيئا » أى لاينقصكم بلغة بنى عبس . ثم وقع فيه من غير لسان العرب أكثر من مائة كلمة ترجع إلى لغات الفرس والروم والنبط والحبشة والعبران والسريان والقبط ، كالجبت والاستبرق والسندس والقسطاس والزنجبيل ، وقد صقلها العرب على لسانهم ، وأجروها على أوزانهم ، فصارت بذلك عربية .

أغراضه ومعانيه

علمت أن من القرآن مانزل بمكة ومنه ما نزل بالمدينة . فالمكى من سوره يشتمل على أهم ما جاء الرسول من أجله : ففيه توحيد الله بذكر صفاته وتمجيد

---

(١) يقال لهؤلاء أيضا عليا هوازن ؛ وهم سعد بن بكر ونصر بن معاوية وثقيف : وفيهم يقول أبو عمرو بن العلاء ، أفصح العرب عليا هوازن وسفلى تميم .

آياته ، وتأييد الرسول بتحدى المكابرين ، وضرب الأمثال بأحوال الغابرين ، ورفض الأوثان وما يتصل بها من عادات واعتقادات ، وإثبات اليوم الآخر وما يتعلق به من جنة ونار وتبشير وإنذار ، ثم الإذن لرسول الله أن يجاهد الشرك بالسيف .

وأما المدنى منها فيمتاز بوصف المغازى وذكر أسبابها ، وما يستفيده المؤمنون من نتائجها وأعقابها ، وسن الشرائع الدينية كالصلاة والزكاة والصوم والحج ، والاجتماعية كالأحوال الشخصية والمعاملات المدنية والحقوق الجنائية ، وما تستتبعه من قصاص وحدود ، وفى كل ذلك ترى الألفاظ مؤتلفة مع المعانى ، والمعانى متفقة مع الأغراض ، اتفاقا دونه الفن والمنطق وليس فوقه إلا قدرة الله!

تأثيره

شغل المسلمون بالقرآن وفرغوا له ؛ فكان دعاءهم فى المسجد ، ونظامهم فى البيت ، ومنهاجَهم فى العمل ، ودستورهم فى الحكومة . فسرى هَديهُ فيهم مَسرى الرُّوح ونزل وحيهُ منهم منزلة الطبع ، وأثر فى ألسنتهم وأفئدتهم وأنظمتهم مالم يؤثره كتاب سماوى آخر فى أهله . فأما تأثيره فى اللغة وأدبها — وهو مايعنينا الآن ذكرُه — فبأنه خالط من القوم قلوباً قاسية فألانها ، وطباعاً جافية فأرقّها ، وأحلاماً طافية فأقرّها ، فكسبَ ذلك اللغة عذوبة فى اللفظ ، ورقة فى التركيب ، ودقة فى الأداء ، وقوة فى المنطق ، وثروة فى المعانى ، ووسع دائرة اللغة باستحداثه الألفاظ الدينية كالصلاة والزكاة والقيام والركوع والسجود والوضوء والمؤمن والكافر الخ ، واقتضائه علوماً جديدة كالنحو والصرف والاشتقاق لدفع اللحن عنه ، والمعانى والبيان والبديع لتقرير الإعجاز فيه ، وعلمى اللغة والأدب لتفسير غريبه وتوضيح مشكله ، والحديث والأصول والفقه والتفسير لاستنباط أحكام الشرع منه . وهو الذى ضمن بقاءها تلك القرون العديدة ، ونشرها فى مجاهل الأصقاع البعيدة ، مصداقاً لقول الله تعالى : « إنَّا نحنُ نزّلنا الذكرَ وإنا له لَحافِظون » وحفظ القرآن يستلزم حفظ لغته .

٢ ــ الحديث

الحديث هو قول رسول الله أو حكاية فعله أو حديث الصحابة عنه . فهو فى المنزلة الثانية من كتاب الله فيما يتعلق بالدين والثقافة ، وأغزر ينابيع التشريع فى العبادات والحقوق ، وأقوم طريق يؤدِّى إلى فهم القرآن : يوضح إشكاله ، ويفصِّل إجماله ، ويقيد إطلاقه ، ويخصص عمومه . والأحاديث التى صحت عن رسول الله قليلة ، ولكنها موسومة بطابع البيان والإلمام والعبقرية ، لنشأته فى قريش . واسترضاعه فى بنى سعد وهى أفصح القبائل العربية ، وتضلعه من لغة القرآن واطلاعه على لغة العرب ، وقدرته الفطرية على ابتكار الأساليب العالية، ووضع الألفاظ الجديدة لما استحدث من المعانى الدينية والفقهية ؛ ولكن قيمتها اللغوية ودلالتها التاريخية لا تسموان إلى مكان القرآن فى ذلك ، لأن القرآن كان يدوِّنه عند نزوله كتبةُ الوحى ، وكونه كلامَ الله جعل الاحتفاظ بنصه فرضاً على المسلمين ، « فمن بدله بعد ما سمعه فإنما إثمه على الذين يبدلونه ». أما الحديث فلم يدون إلا حوالى منتصف القرن الثانى للهجرة ، وكان قبل ذلك إنما يُروى من الذاكرة ، والذاكرة كثيراً ما تخون ، فناله من تغيير الكلمات واختلاف الروايات أكثر مما نال الشعر الجاهلى . وزاد فى ذلك أن العلماء أجازوا رواية الحديث بالمعنى لاستحالة المحافظة على اللفظ فى نقله مشافهة طوال هذه السنين . وقامت الخصومات السياسية ، ونجمت الفرق الدينية ، فاستجاز أولو الأهواء الكذِبَ على الرسول ، فوضعوا ألوف الأحاديث تأييداً لدعوتهم وترجيحاً لنزعتهم . واستباح قوم وضع الأحاديث الموافقة لمبادىء الدين وقواعد الفضيلة . وحجتهم أن الناس لا يأخذون إلا بنص الكتاب أو مأثور السنة ؛ فملأوا

الكتب بأحاديث الترغيب والترهيب وتعدوا ذلك إلى وضعها فى فضائل الأشخاص والمدن والسوَر لدعوة سياسية أو نزعة عصبية أو غاية دينية ، كالأحاديث الموضوعة فى فضل قريش على العرب ، وفضل العرب على العجم، وتفضيل بعض الصحابة على بعض ، والمنقولة فى بعض التفاسير فى فضائل السوَر تزعيباً للناس فى دراسة القرآن حين لهوا عنه بالفقه والسيَر . ومن طريق الوضع أدخلوا فى الحديث طائفة كبيرة من الحِكم المأثورة عن العرب ، والآراء المنقولة عن العجم ، فأثرت فى الخطابة والجدل والشعر تأثيراً غير قليل .

كان عمر وبعض الصحابة لا يرون التوسع فى رواية الحديث اتقاء لخطر الوضع وحرصاً على كتاب الله أن يجر هذا الوضع إلى الاختلاف فيه أو الانشغال عنه . وقد قال عمر لقرظة بن كعب ولمن حوله من الصحابة حين خرجوا إلى العراق: إنكم تأتون أهل قرية لهم دوىٌّ بالقرآن كدوى النحل ، فلا تصدوهم بالأحاديث فتشغلوهم . جوِّدوا القرآن وأقلوا الرواية عن رسول الله (ص) . ونظن أن ذلك الخوف هو الذى صرفه أيضاً عن الإشارة بجمع الحديث كما أشار بجمع القرآن حتى لا يكون بجانب كتاب الله كتاب آخر يشاركه العناية ؛ فقد روَى الزهرى عن عروة بن الزبير أن عمر أراد أن يكتب السنن واستشار أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأشار عليه عامتهم بذلك ، فلبث شهراً يستخير الله فى ذلك شاكا فيه . ثم أصبح يوماً وقد عزم الله له فقال : إنى كنت قد ذكرت لكم من كتابة السنن ما قد علمتم ، ثم تذكرت فإذا ناس من أهل الكتاب من قبلكم قد كتبوا مع كتاب الله كتباً فأكبوا عليها وتركوا كتاب الله ، وإنى والله لا ألبِّس كتاب الله بشىء .

فكان من جرّاء ذلك الخوف هذه الفوضى التى شوهت جمال الدين ، وموَّهت حقائق التاريخ ، وساعدت على نشر الفتنة ، ولم يفطنوا إلى درئها إلا حين استفحل الشر وانتشر الأمر وأصبح الطب لدائها مستحيلا .

ليس من همِّ الأديب أن يعنى عناية الفقيه واللغوى والنحوى والمؤرخ بما نال الحديث من اختلاف وتبديل ، ولا بما نال المحدّثين من جرح وتعديل ، فإن الأدب إنما يعتبر الأحاديث صادقها وكاذبها مذهباً من مذاهب القول ومصدراً من مصادر المعنى لها الأثر البالغ فيه . وليس من شك فى أن الوضاعين كانوا يقلدون أسلوب الرسول ويتوخون استعمال كلماته واصطلاحاته ، حتى لا تجدَ بين أكثر الأحاديث إلا فرق مابين صدق النسبة إلى الرسول وكذبها . هـذا من جهة الشـكل ، أما من جهة الموضوع فان الأحاديث الصحيحة كانت طريق العلم والإرشاد ، والأحاديث الموضوعة كانت طريق الرأى والاجتهاد ؛ لأنها آراء فردية اجتهادية نسبها أصحابها إلى الرسول لتحل من قلوب الناس محل الثقة ، فـكانت طريقاً لبسط الفقه ، وتهـذيب الخلق، ونشر الثقافة ،ونشوء الرأى المجتهد بجانب السنة الصحيحة فى التشريع .

أسلوب الحديث

الحديث كما يدل عليه اسمه لا يخرج عن هذا النوع العادى المألوف الذى يملأ كل مجلس ويتناول كل موضوع . ومن مستلزماته عدم التحضير وقلة التفـكير واختلافه باختلاف المقامات والأحوال ؛ ولـكن أحاديث الرسول وإن كانت فيض الخاطر وعفو البديهة ، يبدو عليها أثر الإلهام وسمة العبقرية وطابع البلاغة . وأسلوبها أقرب إلى أسلوب عصر النبوة منه إلى أسلوب القرآن ، وإنما يمتاز بإشراق ديباجته واتساق عبارته وتساوق ألفاظه وفقره لأداء معنًى واضح معيّن، ومطابقة مدلوله لمقتضى الحال ، وملاءمة لغته للغة المخاطب . وأشد ما يكون ذلك ظهوراً حين يخاطب الوفود ، فالرسول يستعمل الغريب ، ويلتزم السجع ، ويذكر ألفاظاً من مهجور اللغات تبعاً لما جرى على لسان الوافدين عليه : من ذلك حديثه مع طهفة بن أبى زهير النهدى ، ومع لقيط بن عامر بن المنتفق ، وذلك من حسن أدبه وسمو بلاغته وقوة تأثيره[1] .

---

(١) أنظر العقد الفريد ص ١٨١ ج ١ .

أما أكثر الأحاديث فإن عليها رواء الطبع وجلال النبوة ورونق الفصاحة. وللرسول قدرة عجيبة على التشبيه والتمثيل وإرسال الحكمة وإجادة الحوار، وتلك ميزة الرسُل من قبل ولا سيما المسيح ، لأن المرسلين فى مقام المعلمين ، وأنجع ما يكون فى التعليم طريقة التمثيل والمحاورة ، كقوله عليه السلام : « إن المُنْبَتَّ لا أرضاً قطع ولا ظَهراً أبقى . المؤمن هيّنٌ ليّن كالجمل الأنف إن قِيد انقاد ، وإن أُنيخ على صخرة استناخ أصحابى كالنجوم، بأيهم اقتديتم اهتديتم لو توكلتم على الله حقَّ توكُّله لرزقكم كما يرزق الطير : تغدو خماصاً وتروح بِطانا . مَثَل المؤمن كالنحلة ، لا يأكل إلا طيباً ولا يطعم إلا طيباً . إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم فسعوهم بأخلاقكم . المؤمن آلف مألوف . ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف . إنَّ أحبكم إلىَّ وأقربكم منى مجالس يوم القيامة ، أحاسنكم أخلاقاً ، الموطأون أكنافاً ، الذين يألفون ويؤلفون. وإن أبغضكم إلىَّ وأبعدكم منى مجالس يوم القيامة ، الثرثارون المتشدقون المتفيهقون. إياكم وخضراء الدِّمن : المرأةَ الحسناء فى المنبت السوء . المرأة كالضَّلَع إن رُمْتَ قوامها كسرتها . الناس كلهم سواسية كأسنان المشط . جنة الرجل داره . إن قوماً ركبوا سفينة فاقتسموا ، فصار لكل رجل منهم موضع ، فنقر رجل منهم موضعه بفأس ، فقالوا له ما تصنع ؟ قال هو مكانى أصنع فيه ما أشاء . فإن أخذوا على يده نجا ونجوا ، وإن تركوه هلك وهلكوا » .

وأثر الأسلوب النبوى فاش فى كلام الصحابة وخطبهم ، وعلى الأخص فى أسلوب من اشتد خلاطهم به أو كثرت روايتهم عنه، كالإمام علىّ وأبى هريرة. فمن قول الإمام علىّ كرم الله وجهه : « ألاَ وإن الخطايا خيل شُمُس حُمل عليها أهلها وخُلعت لُجُمها فتقحمت بهم فى النار . وإن التقوى مطايا ذُلُل حمل عليها أهلها وأُعطوا أزمتها فأوردتهم الجنة . حق وباطل ، ولكل أهل . شُغل مَن الجنة

والنار أمامه . ساعٍ سريع نجا ، وطالب بطىء رجا ، ومقصر فى النار هوى . اليمين والشمال مَضَلّة ، والطريق الوسطى هى الجادَّة » .

وأما أبو هريرة فأكثر الناس حديثاً عن الرسول حتى بلغ ما رواه أربعة وسبعين وثلاثمائة وخمسة آلاف ، أكثر لفظها وأسلوبها له وإن كانت جارية على أسلوب السنن . وقد ارتاب بعض الصحابة فى كثرة ما رَوى فقال : « إنكم تزعمون أن أبا هريرة يكثر الحديث عن رسول الله ، والله الموعد . كنت رجلا مسكيناً أخدم رسول الله على ملء بطنى ، وكان المهاجرون يشغلهم الصَّفْق فى الأسواق ، وكان الأنصار يشغلهم القيام على أموالهم ؛ وكنت ألزم رسول الله فأشهد إذا غابوا ، وأحفظ إذا نسوا ! » .

تأثير القرآن على اللغة العربية

شغل المسلمون بالقرآن وفرغوا له، فكان دعاهم في المسجد ونظامهم في البيت وجدوه طريق السعادة وأخذوه دستورا للحكومة وأثر القرآن المستهم وادهانهم وانظمتهم مالم يؤثر كتاب سماوي آخر في اهله - وظهرت اساليب القرآن والفاظه في لغة المسلمين شعرا وكتابة وخطابة - اثر في اللغة وجعل القلوب القاسية لينا والطبائع الجافة دقيقة وزاد عذوبة في اللفظ ودقة في التركيب ودقة في الاداء وقوة في المنطق وثروة في المعاني ووضع ثروة اللغة الفاظ الاسلامية مثل الهلال والصوم والزكاة والقيام والركوع والسجود والوضوء والمؤمن والكافر وأكثر هذه الالفاظ موجودة في اللغة قبل الاسلام لكنها نزل على معاني اخرى فاعطاها الاسلام معان جديدة فلفظ مؤمن مثلا كان معروفا في الجاهلية - ولكنه كان يدل عندهم على الامان او الايمان فاصبح مجيء الاسلام يدل على المؤمن وهو غير الكافر وله في الترجمة شروط معينة لم تكن من قبل وكذلك المسلم والكافر والفاسق والمصطلحات الفقهية كالايلاء والظهار والطلاق والعدة وغيرها.

نبع من القرآن علوما جديدة مثل النحو، والصرف، وعلم المعاني، والبيان، والبديع، وعلم اللغة والادب، والحديث والاصول، والفقه، والتفسير - والقرآن هو الذي ثمن بها اللغة العربية تلك القرون العديدة ونشرها في الاماكن البعيدة مصداقا لقول الله "انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون"

القرآن جمعه وتدوينه

القرآن اول كتاب دون في العربية وهو واضع النثر الفني ومنبع المعاني والاساليب والمعارف التي شاعت في ادب ذلك العصر ومظهر الحياة العقلية والادبية عند العرب -

ماهو القرآن: القرآن اول مصدر من قرأ يقرأ قراءة وقرانا - وفي الاصطلاح "هو كلام الله المنزل منه لفظا وغاية بواسطة جبرئيل عليه السلام على محمد صلى الله عليه وسلم في مدة ثلاث وعشرين سنة المكتوب بين دفتي المصحف" وفيه ثلاثون جزءا ومائة واربع عشرة سورة اولها سورة الفاتحة واخرها سورة الناس -

جمعه وتدوينه :- القرآن اول كتاب دون في العربية - كان الصحابة حفظون او يكتبون ما نزل من القرآن كلا على حدة لم يكن القرآن إذن جامعا لقانون التاليف والناظم على هذه الصورة ودون جمعه وفاة الرسول نذكره فيما يلي :

في حياة الرسول :- قد رتبت آية وتمت سورة في حياته قبل وفاته الا انها لم تجمع في مصحف واحد - وانما توفي الرسول والقرآن اما مسطورا في العسب واللخاف والاكتاف واما مذكورا على السلفة الصحابة

في خلافة ابي بكر :- لما قتل سبعون من القراء في غزوة اليمامة فزع المسلمون واشفق عمر أن يذهب القرآن بذهاب حفاظه فتقدم إلى ابي بكر في جمعه - فتردد الخليفة وقال : كيف افعل امرا لم يفعله رسول الله ولم يعهد الينا فيه عهدا فما زال عمر يراوده حتى اقتنعه - وعهد بذلك على زيد بن ثابت احد كتبة الوحي - فجمعه من السطور والصدور وكتبه صحفا ادرت عند ابي بكر وعمر من بعده -

في خلافة عثمان :- كانت هذه الصحف عند حفصة فلما اتسعت رقعة الدولة وانتشر القراء في الارض اختلفوا في قراءتهم اختلافهم في لهجاتهم وفي جرسهم على بعض لحسن قراءته وصدق روايته فخشي عثمان ان يختلفوا في دلالته كما اختلفوا في تلاوته فامر زيد بن ثابت وعبد الله بن زبير وسعيد بن العاص عبد الرحمان بن حارث بن هشام ان ينسخوا تلك الصحف في مصحف واحد ورتبوا سورة على الطول والقصر واقتصروا فيه على لغة قريش لنزول القرآن بها وامر عثمان الناس ان يكتبوا مما حف من هذا المصحف وجعث في كل افق بواحد منها وكانت نسخة فارسلها الى مكة والشام واليمن والبحرين والبصرة والكوفة وحبس بالمدينة واحدا - وهو مصحفه المسمى بالامام ثم امر بجمع ما عدا من ذلك فاحرقه

وهكذا وصل الينا بدون شيء من التغيير والتبديل والتحريف ، وذلك لأن الله الذي كتب على نفسه ان يحفظه كل الحفاظة لا يناسبه كما قال تعالى « انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون »

أين أيام لذتى وشبابى
محمود سامي البارودي

Joyful time- لذة, Teen-aging time- شباب, Find- راى, Return- عاد, Passing- الذهاب,

1) Where is my joyful and teen-aging time? Do you think those days had gone? Will come back after passing?

Long era- عهد, Pass- مضى, That is impossible/far away- أبعد شئء , Return- رد, Childhood time/ Teen-aging time- عهد النصب,

2) There was a long era, that had passed, that is impossible/ far away. For time, that time will return the childhood time/ teen-aging time.

Remind on me- أدير علي, Memories of past time- ذكراه, Separation- فارق, severe pain- شديد المصاب,

3) Oh my both friend remind me the memories of past days/ time! Recently I have severe pain since I had been separated.

Forget- يسالو, Wiseman- ذو اللب , Enjoying of past time- ماضي اللهوى, Teen-aging time- زمان الشباب,

4) Wiseman forgets everything except the enjoying of past time of teen-aging time.

I know/ I don't forget- ليت شعرى , Date trees- النخيل , grapes- الأعناب,

5) If I know the time when I may see Manyal park, where are date trees and grapes.

Flow- جرى, Boat- السفين, Competition- مستبقات, Melted silver- اللجين المذاب,

6) Where boats are running in competition on water of the Nail River that water is like melted silver.

DaldaSK

Surrounded- أحاط, Both bank of river- شاطئيه, Shining palace- قصور مشرفات, Looking- يلحن, Dome- القباب,

7) Both bank of river are surrounded by shining palace those are looking like dome.

Happy- سرح, Eyes- النواظر, Play ground- ملعب, Valley- شعاب,

8) Eyes will become happy from play ground that is in that garden and in the valley.

Facing- شفاه, Morning first breeze- النسيم ثراه , Perfume- نفحة,

9) Whenever the morning breeze is facing first time. It returns back with perfume of malab.

Grazing land- مرعى, Play ground- ملعب , enjoy- لهوى, Earning palace- جنى, Youthfulness- صبوة, Music place- مغنى Friends- صحاب,

10) That was grazing land and play ground of my enjoying time and earning palace of youthfulness and music palace with my friend.

I will never forget- لست انساه, Till my death- ما حييت, It is unfortunately- حاشا, You find me- ترني, For that time- لعهده, Without success- غير صبي,

11) I will never forget till my life. It is unfortunately, you find me for that time/ love without successes.

No one is taking care- ليس يرعى, The right of friendship- حق الوداد , Promise- عهد, The noble man- كريم النصاب,

12) No-one is talking to the right of the friendship. And nobody is remembering the promise except the noble person.

My happy days- اشتياقي, My words/poetry- قولي, Remain- باق, For a long time- على الأحقاب ,

Daud Sk

13) If my happy days had gone but my love towards it. It will remain for a long time like the words/ poetry.

Oh my both friend- يا نديمي, Stop- كفا , Blame- ملام, Leave me alone- خلياني, With my position- لما بي,

14) Oh my both closed friend of Sarandeep stop blame me and leave me alone with my position.

How do I not weep- كيف لا أندب, Teen-aging time- الشباب, I have become middle-age person - قد أصبحت كهلا, Adversity- محنة, Exile- أغتراب,

15) How do I not weep on my teen- aging time. Really I have become middle aged person because of the adversity and exile.

Tattered- أخلق, Old age- الشيب, Hard working- حدة, Dressed- كسان , Gown- خلعة , Different type of tattered color- رثة الجلباب,

16) The old age gad tattered my hard working and it has dressed me gown with different color.

Turned on- لوى, Hair of my both eye brows- شعر حاجبي , It has become long- أطل, The border of cloth- هداب,

17) Hair of my eye-brow has turned on my eyes and it has become long like the border of cloth.

I don't look anything- لا أرى الشيء, when it appears- حين ينسح, Imagination- خيال, Mist- ضباب ,

18) I don't like anything when it appears but like an imagination that I am looking in mist.

Whenever I had been called- اذا ما دعيت , I looked- حرت, I am listening sound- أسمع الصوت , Behind the wall- وراء حجاب

19) Whenever I had been called, I looked to the sound but I am listening sound behind the wall.

Whenever I try to stand up- كلما رمت نهضة, I have been compelled to seat-أقعدتني , Weakness- ونية , Not able to carry- لا تقل, Body parts-أعصاب,

20) Whenever I try to stand up, I have been compelled to seat by weakness, my body parts are not able to carry bodies' burden.

To leave- ودع, Little hope- أشلاء همة, Inside- ثياب,

21) All types of problem didn't leave (I become hopeless because of my problems). Now I have a little hope that is inside me.

I have been in pain- فجعتني, Parents- والدي, Family- أهل, Attack- أنحت, continuously/ attack again- تكر, Death of my friends- أترابي,

22) I had been pain by my parents (because of their death) and death of my families. . And the problems are attacking continuously on me by the death of my families.

Going away- يزول, Friend- حبيب, How bad luck is for my heart- يا لقلبي , Separation of friend- فرقة الأحباب ,

23) Everyday my friends are going away from me. How bad luck is for my heart because the separation of my friends.

Complete of good character- رب الكلام و لأداب ,

24) Where are my both friends Husain and Abdullah? Who are complete in their character.

Both had passed- مضيا, Without any remembering- غير ذكرة , Living in pride- بقاء الذكر فخر, Continue –يدوم, Long time- الأعقاب,

25) Both had passed without any remembering and living in a pride that will be continuing for a long era.

Substitute- بديل, Stress- اكتئاب,

26) I didn't find for me both substitute except my sadness and stress.

I swear my life- قد لعمري, I have a long experience- عرفت دهري, Reject-أنكر, Issue- أمر, That were not in my favor- ما كنا لي في حساب,

27) I swear in my life I had a long experience and in that time I rejected issues that were not in my favor.

Await- تجنب, Company of people- صحبة الناس, Assist-عون ,

28) I awaited company of people even the fear of that people has assisted me for awaiting them.

I don't attention- لا أبالي, What is being said- بما يقال, Ready- ملئ, Reply-رد,

29) I don't attention to what is being said about me although I am ready to reply all these.

Keeping away my-self- قد كفني, Secure- أمان, Bad comments- غيبة, Backbiter-المغتياب ,

30) Keeping away my-self from people is enough for me because by this way I am secure from bad comments of backbiter.

Envious- حاسد, To want- شاء, ear- سمع, Bad language- الخنا, Hiding/Safe- احتجاب,

31) My envious say bad things about me whatever they want because my ear is safe from the bad language.

Nothing is hidden for me- ليس يخفى علي, Ignore- تغابى, Wiseman- حزم, Love-الف, Ignorance- تغابى,

32) Nothing is hidden for me but I ignore it because wiseness is to love ignorance.

Daud SK

Old age- المشيب, Brother of intelligence- أخو الحزم, Proof- دليل, Right path/opinion- طريق الصواب,

33) For old age is enough. Old age is proof for right path/opinion because it is brother of intelligence.

Human being- المرء, Picture-صورة, One day it will die- صوف تبلى, Declination of the civilization- انتهاء العمران, Starting of destruction- بدء الخراب.

34) Human being is a picture, one day it will die. Declination of the civilization is cause of starting of destruction.

Daud SK

خاصيات الأبواب

أَفْعَلَ: ميزان للفعل الماضي الثلاثي المزيد فيه حرف واحد ومن معانيه وخاصيته: [1]

1. التعدية: نحو: "أجلستُ الطفل"، وقد تكون التعدية إلى مفعولين في ما كان متعديًا إلى مفعول واحد، نحو: "أركبتُك فرسًا"، وإلى ثلاثة في ما كان متعدّيًا غلى مفعولي، نحو: أريتك القمرَ طالعًا".
2. الدُّخول في الشيئ، نحو: "أمسى الشتاء"، أي دخل في المساء.
3. وجدان المفعول به متصّفًا به، نحو "أعظمتُ فلانًا" اي: وجدتُه عظيمًا.
4. الصيرورة، نحو: "أقفر البلدُ" أي: صار قفرًا.
5. العرض، نحو "أبَاعَ الفرسَ" أي: عرضَه للبيع.
6. وجود الشيئ على صفته، نحو: "أحمدته وأبخلته"، أي: وجدته محمودًا وبخيلًا.

---

[1] المعجم المفصّل في اللغة والأدب:نحو، صرف، بلاغة عروض، إملاء، فقه اللغة أدب، نقد، فكر أدبي 191

7. الإعانة على ما اشتُق الفعل منه نحو: "أحلبتُ فلانًا" أي: أعنته في الحلب.

8. الدخول في الزمان، نحو: "أسحر، أصبح"، أي: دخل في السَّحَر، والصباح.

9. سلب الفعل، نحو: "أشكيتُ زيدًا"، أي: "أزلت شكايته.

10. الدخول في المكان، نحو: "أنجدَ وأشأَم"، أي: أتى نجدًا والشام.

11. البلوغ، نحو: "أومأتِ الدراهم"، أي: صارت مئة، ونحو: "أنجدَ فلان"، أي: بلغ نجدًا.

12. الاستحقاق، نحو: "أحصد الزرع"، أي: استحق الزرعُ الحصادَ.

13. المطاوعة لـ "فعَّل"، نحو"فطّرته فأفطر"، أو لـ "فعَلَ" نحو: كبَبتُ الرجلَ فأكبَّ".

14. بمعنى أصْلها، نحو: سَرَى وأسْرى: وقد تُغنى "أفْعَل" عن أصلها لعدم ورود هذا الأصل، نحو: "أفلَحَ" بمعنى: فاز، لأنّه لم يرد في العربيّة "فَلَحَ" بهذا المعنى.

ومصدر "أفعَل" هو:

1. إفْعَال، إذا كان صحيح العين، نحو: "أكْرَم إكرامًا، وأسلَم إسلامًا".

2. إفالة، إذا كان معتل العين، نحو: "أقام إقامة، أعان إعانة"، وقد تُحذت التاء، نحو الآية: (وإقامَ الصلاة وإيتاءَ الزكاةِ) (الأنبياء: 73)

3. إفعاء، إذا كان معتلّ اللام، نحو: "أعطى إعطاءً، أهدى إهداءً. أمَّا "عَطاء" (من "أعطى")، و"ثناء" (من ("أثنى" وأمثالها فأسماء مصادر، وليست مصادر لنقصانها عن أحرف أفعالها.

ويأتي "أفعل" للتفضيل. (انظر: اسم التفضيل). وقد ترد أفعال التفضيل عارية من معنى التفضيل، فتضمّن حينئذ معنى اسم الفاعل، نحو الآية: (ربُّكم أعلمُ بكم) (الإسراء: 54) أي: عالِم بكم، أو معنى الصفة المشبَّهة، نحو الآية: (وهو الذي يبدأ الخلق ثُمَّ يُعيده وهو أهونُ عليه)، (الروم: 27)، أي: هو هيّن عليه.

فَعَّلَ: أحد موازين الفعل الثلاثيّ المزيد فيه حرف واحد، ومن معانيه أو خاصيته:[1]

[1] المعجم المفصّل في اللغة والأدب:نحو، صرف، بلاغة عروض، إملاء، فقه اللغة أدب، نقد، فكر أدبي 948-949

1. التكثير: وهو المعنى الغالب، ويكون التكثير في المفعول به، نحو: "كسَّرتُ الأحجارة" (أي: أحجارًا كثيرة)، أو في الفاعل، نحو: "برّكت الإبلُ"، (أي: إبل كثيرة)، أو في الفعل، نحو: "طوَّف زيدٌ" (أي: كثُرَ طوافُه).[1]
2. التعدية، نحو: "وَقَفَ الطفل---- وقَّفتُ الطفلَ"، وقد تكون التعدية إلى مفعولين في ما كا متعدّيًا إلى مفعول واحد، نحو عَلِمَ الخبرَ ----- علّمتُه الخبرَ" أمّا ما كان متعدّيًا إلى مفعولين، فلم تُسمع تعديته إلى ثلاثة بتضعيف عينه.
3. نسبة الشيء إلى أصل الفعل، نحو: "كفَّرتُ فلانًا" (أي: نَسَبْتُه إلى الكفر).
4. السلْب، نحو: "قشّرتُ الثمرةَ" (أي أزلْتُ قشرتَها).
5. التوجُّه، نحو: شرَّق، وغرَّب، وكوَّف" (أي اتجه نحو الشرق والغرب والكوفة).
6. اختصار الحكاية، نحو: "هلّل وسبّح" (أي: قال لا إله إلّا الله، وسبحان الله),
7. الصيرورة، نحو: "حجّر الطينُ وثيَّبت المرأة" (أي صار الطينُ حجرًا، وصارت المرأة ثيِّبًا).

[1] وقد قرّر مجمع اللغة العربية في القاهرة قياسيّة هذا الوزن للتكثير والمبالغة.

8. الدعاء، نحو: "سقّيتُه" (أي: دعوتُ له بالسُّقيا).

9. بمعنى "فَعَلَ"، نحو: "ميَّزَ، قدَّرَ" (أي ماز، قَدَر).

10. بمعنى: أفْعَلَ، نحو: "خبَّرَ، وسَمَّى" (أي أخْبَرَ وأسمى).

11. بمعنى مضادّ لمعنى: أفعَلَ، نحو: "فرَّطتُ": جزتُ الحدّ)، و"قَذَّيتُ عينَه" (أي: نظّفْتُها، و"أقذيتها": جعلتُها قذيَّة).

12. بمعنى: تفعَّل، نحو: فكّر، ويمَّم" (بمعنى: تفكّر، وتيمَّم).

ومصدر "فعَّل": تَفْعيل، وذلك إذا كان صحيح اللام غير مهموزها، نحو: "حسّن تحسيناً، وعظّم تعظيماً"، وقد يجيء قليلاً على "تفعِلة" و"تَفْعيل"، نحو: "جرّب تجرِبَة وتجريباً، كرّم تكرمةّ وتكريماً". أمّا إذا كان معتل اللام، فمصدره على "تفعلة"، نحمو: "سوّى تسوية، وصّى توصية" وإذا كانت لامه مهموزة، فمصدره على "تفعيل" و"تفْعِلَة"، نحو: "جزّأَ تجزيئًا وتجزئة، وخطّأَ تخطيئاً وتخطِئةً". وقد يأتي مصدر "فعّل" على "تَفعَال"، نحو: "عدّد تعْدَادًا، جَوَّل تَجْوالًا، طوَّف تَطْوافًا"، أو على "فِعَّال"، نحو: "كلّمتُه كِلّامًا". وكلّ مصدر لِـ "فَعَّل" غير "تفعيل" سماعيّ يُحفَظ ولَا يُقاس عليه.

استَفْعَلَ: أحد أوزان الفعل الماضي الثلاثيّ المزيد فيه ثلاثة أحرف، ومن معانيه أو خاصيته:[1]

1. الطلب الحقيقي، نحو: "استرحمتُ الله" (أي: طلبتُ إليه الرحمة)، أو المجازيّ، نحو: "استنبَتُّ الأرضَ"، فمحاولة إخراج النبات من الأرض نوع من الطلب المجازيّ.
2. الصيرورة الحقيقيّة، نحو "استحجر الطينُ"، (أي صار حجرًا)، أو المجازيّة، نحو: "استأسَد الجنديُّ" (أي: صار كالأسد في شجاعته وقوّته).
3. المطاوعة، نحو: "أرَحتُ المريضَ فاسترح".
4. التكلف، نحو: "استجْرأ"، أي: تكلَّف الجُرأة.
5. وجدان المفعول على صفة، نحو: "استعْظَمْتُ الجهادَ واستَحسَنته"، أي: وجت الجهاد عظيمًا حسنًا.
6. معنى الفعل المجرّد، نحو: "استقَرَّ"، بمعنى: قرّ.

ومصدر "استفعل" هو "استفعال"، نحو: "استعلم استعلامًا، واسترحَمَ استرحَامًا". أمّا إذا كانت عينه حرف علّة، فإنها تُحذف

[1] المعجم المفصّل في اللغة والأدب:نحو، صرف، بلاغة عروض، إملاء، فقه اللغة أدب، نقد، فكر أدبي 95

ويُعوَّض عنها بالتاء في آخر المصدر، نحو: "استراح استراحة"، الأصل: "استرواح": حُذِفت الواو وعوّض عنها بالكسرة.

افْتَعَلَ: ميزان للفعل الماضي الثلاثي المزيد فيه حرفان وأهم معانيه وخاصيته: [1]

1. المطاوعة، نحو: "جمعتُه فاجتمَعَ".
2. اتخاذ الفعل من الاسم، نحو "اختَبَزَ"، أي: اتخذ الخُبزَ.
3. المبالغة، نحو: "اقتَدَرَ"، أي: بالغ في القُدرة.
4. الإظهار، نحو: "اعتذَر" أي: أظهر العُذْر.
5. التسبّب في الشيء والسعي فيه، نحو: "اكتسبتُ المال" أي حصلت عليه بسعي وقصد.
6. الاشتراك، نحو: "اقتتلوا".
7. وجود الشيء على صفة معيّنة، نحو: "اعتظَمَ الأمر"، أي: وجده عظيمًا.
8. بمعنى أصل الفعل لعدم ورود الأصل، نحو: "التحى" أي: طلعت لحيته، ونحو: "ارتجل الخطبة".

[1] المعجم المفصّل في اللغة والأدب:نحو، صرف، بلاغة عروض، إملاء، فقه اللغة أدب، نقد، فكر أدبي 184

ومصدر "افتعل" هو "افتعال"، نحو: "اجتمع اجتماعًا، اقتتل اقتتالًا"، فإن كان معتلّ الآخر، قُلِبَ آخره همزة، نحو: "ارتدى ارتداءً، التحى التحاءً".

فَاعَلَ: أحد موازين الفعل الثلاثيّ المزيد فيه حرف واحد، يكون غالبًا للمشاركة بين اثنين فصاعدًا، نحو "لاعَبَ زيدٌ طفلَه". ويدلّ على فاعليّة الأوّل ومفعوليّة الثاني صراحةً، وفاعليَّة الثاني ومفعوليّة الأوَّل ضمنًا، ومن معانيه أو خاصيته:[1]

1. الموالات، ويكون في هذه الحالة متعديًا، نحو "تابعْتُ معلّمي".
2. التكثير، نحو "ضاعفتُ الجهودَ" أي ضعَّفتُها وكثّرتُها.
3. بمعنى "فَعَلَ"، نحو :ناصرتُ المظلومَ"، أي: نَصَرتُه.
4. بمعنى "أَفْعَلَ"، نحو: "سارعتُ إليه" أي: أسرعتُ إليه.

ومصدر "فَاعَلَ": فِعَالٌ ومفاعَلَةٌ، نحو: "قاتَلَ قِتَالًا ومُقَاتَلَةً، ونازَلَ نِزَالًا ومُنَازَلةً". أمّا إذا كان معتلّ اللام، فإن لامه تُقلب همزة، نحو: "نادى نِداءً ومُناداة"ن عادى عِداءً ومعاداة"؛ وإذا كانت فاؤه ياء، ويمتنع مجيء مصدره على "فِعال" فيأتي على "مُفَاعَلة" نحو: "ياسَرَ مُيَاسرةً، يامَنَ مُيَامَنَة".

---

[1] المعجم المفصّل في اللغة والأدب:نحو، صرف، بلاغة عروض، إملاء، فقه اللغة أدب، نقد، فكر أدبي 916

أفعال المقاربة والرجاء والشروع

1. أفعال المقاربة، وتدلّ على قرب وقوع الخبر، وهي ثلاثة: كاد، وأوشك وكَرَبَ.
2. أفعال الرجاء، وتدلّ على رجاء وقوع الخبر، وهي ثلاثة أيضًا: عسى وحرى واخلولق.
3. أفعال الشروع، وتدلّ على الشروع في العمل، وأفعالها كثيرة، وأهمّها: "أنشأ، علق، طفِق، بدأ، ابتدأ، جعل، أخذ، قام،

المفاعيل الخمسة

هي: المفعول به، والمفعول فيه، والمفعول لأجله (أو له، أو من أجله)، والمفعول المطلق، والمفعول معه.

المفعول به:

1. **تعريفه:** هو ما وقع عليه فعل الفاعل إيجابًا أو سلبًا، نحو "أكلتُ التفاحةَ"، و"ما خالفتُ النظامَ".
2. تقديم المفعول به وتأخيره: الأصل أن يتّصل الفاعل بفعله، لأنه كالجزء منه، فيأتي الفعل أوَّلًا فالفاعل فالمفعول به. لكن قد يتقدَّم المفعول به على الفاعل، أو على الفعل والفاعل معًا. وهذا التقدّم إمّا جائز، وإمّا واجب، وإمّا ممتنع.

أ- **تقديم المفعول به على الفاعل وجوبًا:** يجب تقديم المفعول به على الفاعل في ثلاثة مواضع:

1- إذا اتصل بالفاعل ضمير يعود إلى المفعول به، نحو قوله تعالى: (وإذا ابتلى إبراهيمَ ربُّه بكلمات) (البقرة: 124).

2- إذا كان المفعول به ضميرًا متَّصلًا والفاعل اسمًا ظاهرًا، نحو: "كافأني المعلم".

3- إذا كان الفاعل محصورًا بإلّا أو بإنّما[1]، نحو: "ما أكرمَ سعيدًا إلّا محمدٌ" و"إنّما أكرمَ سعيدًا محمّدٌ".

ب- تقديم المفعول به على الفاعل وجوبًا: يجب تقديم المفعول به على الفاعل في ثلاثة مواضع:

1. إذا لم يَظهر الإعراب في أواخر الكلمات، ولم توجد قرينة تميّز الفاعل من المفعول به[2]، نحو: "علّم موسى عيسى" و"أكرمَ ابني أخي".
2. إذا كان الفاعل والمفعول به ضميرين متّصلين، نحو: "علّمتُه".
3. إذا كان الفاعل ضميرًا متّصلًا والمفعول به اسمًا ظاهرًا، نحو: "أكرمتُ محمدًا".
4. إذا كان المفعول به محصورًا بإلّا أو بإنّما[1]، نحو: "إنما علّم محمّدٌ سعيدًا". و"ما علّم سعيدٌ إلا محمّدًا".

---

[1] وقد أجاز بعض النحاة الفاعل المحور على المفعول به، تمسكًا بما ورد من ذلك، ومنه قول الشاعر:

ما عاب إلّا لئيمٌ فِعلَ ذي كرم ولا جفا قطّ إلا جبَّأ بَطلَا

[2] أما إذا وجت القرينة فيجوز تقديم المفعول به نحو: "أكرمتْ سعيدًا سعادُ" والقرينة هنا هي تاء التأنيث في "أكرمت".

ج- **تقديم المفعول به على الفعل والفاعل معًا:** يجب تقديم المفعول به على الفعل والفاعل في الحالات التالية:

1. إذا كان الأسماء التي لها حقّ الصدارة كأسماء الشرط نحو قوله تعالى: "وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ" (سورة الرعد: 33)، والاستفهام نحو: "من كافأتَ؟"، و"كم" و"كأيّن" الخبريَّتين، نحو: "كم كتابٍ قرأتَ!" و"كأيّن من حسنةٍ فعلتَ!"، أو إذا كان مضافًا إلى ما له حق الصدارة، نحو: "عملَ مَنْ تعملْ أعمل"، و"مسابقةَ مَن صحَّحتَ؟" و"مسابقةَ كم تلميذٍ صحَّحتَ!".

2. إذا كان منصوبًا بجواب "أمّا"، وليس لجواب "أمّا" منصوب مقدَّم غيره، نحو قوله تعالى: (فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ۝ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ۝) (الضحى: 9-10).

3. ملاحظات:

أ- إذا كان معمول الصفة المشبّهة معرفة مقترنًا بضمير الموصوف، أو مضافًا إلى ما فيه ضمير الموصوف، فالأصل

---

[1] وقد أجاز بعض النحاة تقديم المفعول به المحصور على الفاعل، تمسكًا بما ورد من ذلك، ومنه قول الشاعر:

تزوّدت من ليلى بتكليم ساعة, فما زادَ إلّا ضعفَ ما بي كلامُها

حيث تقدّم المفعول به المحصور "ضعف" على الفاعل "كلامُها".

أن يُرفع على أنه فاعل لها، نحو: "سعيدٌ جميلٌ وجهُه"[1] ونحو: "سعيدٌ جميل وجهُ أختِه"، لكنه قد يُنصب على أنه مشبّه بالمفعول به، يقصد المبالغة، نحو: "سعيدٌ جميلٌ وجهُه". أما إذا كان معمول الصفة المشبّهة معرَّفًا بـ"أل"، فيجوز جرّه بالإضافة، نحو: "سعيدٌ حسنُ الوجه"، أو نصبه على أنّه مشبّه بالمفعول به، نحو: "سعيدٌ حسنُ الوجهَ". أما إذا كان نكرة فيُنصب على التمييز، نحو: "سعيدٌ حسنٌ وجهًا".

ب- يُحذف عامل المفعول به وجوبًا في المواضع التالية:

1. في باب الاشتغال، نحو: "زيدًا كافأته".[2]
2. في باب الإغراء، نحو: "الصلاة".[3]
3. في باب التحذير، نحو: "إياكَ والكسلَ"، ونحو "الكذبَ الكذبَ".[4]
4. في باب الاختصاص، نحو "نحن العربَ نكرم ضيوفَنا".[1]

[1] "سعيدٌ": مبتدأ مرفوع. "جميل": خبر مرفوع. "وجهُه": فاعل "جميل" مرفوع، والهاء مضاف إليه ويجوز أن نعرب "جميل" خبرًا مقدمًا، و"وجهه" مبتدأ مؤخرًا، وجملة "جميل وجهه" خبرًا عن "سعيد".

[2] انظر: الاشتغال

[3] انظر: الإغراء

[4] انظر: التحذير

5. في باب النعت المقطوع، نحو: "مررتُ بزيدٍ المسكين".[2]

المفعول فيه: (الظرف)

1. **تعريفه:** الظرف[3]، أو المفعول فيه اسم منصوب، يدلّ على زمان أو مكان، ويتضمّن معنى "في" باطّراد[4] وهو قسمان: ظرف زمان، نحو: "درستُ صباحًا" وظرف مكان، نحو: "جلستُ أمامَ الطاولة".

2. **الظرف المبهم والظرف المحدود:** الظرف إمّا مبهم وإمّا محدود وظروف الزمان المبهمة هي التي تدلّ على قدر من الزمان غير معيّن، نحو: "وقت"، "حين" "دهر"... إلخ. وظروف الزمان المحدودة هي التي تدلّ على وقت محدود، نحو: "ساعة"، "يوم"، "شهر"، وأسماء الشهور والفصول وأيام الأسبوع. وظروف المكان المبهمة هي التي تدلّ على مكان غير معيّن، كالجهات الست: أمام، وراء، يمين، يسار،

---

[1] انظر: الاختصاص

[2] انظر: النعت (5)

[3] الظرف، في الأصل، ما كان وعاءً لشي (لذلك تسمّى الأواني ظروفًا) وسمّيت الأزمنة والأمكنة ظروفًا، لأن الأفعال تحصل فيها فصارت كالأوعية لها.

[4] إذا لم يتضمّن اسم الزمان والمكان معنى "في" لا يكون ظرفًا، بل يكون كسائر الأسماء حسب ما يطلبه العامل. فيكون مبتدأ، نحو: "يومنا جميل" وخبر، نحو: "هذا يومُ الفرح" أو فاعلًا، نحو: "جاء شهر الصوم"... إلخ

فوق، تحت، وكأسماء المقادير المكانيّة نحو كيلومتر، فرسخ... إلخ. إمّا ظروف المكان المحدودة فهي التي تدلّ على مكان معيّن، نحو "دار، مدرسة، مسجد، كنيسة"... إلخ.

3. **ما ينوب عن الظروف:** ينوب عن الظرف، فينصب على أنّه مفعول فيه، أشياء عدّة، أهمها:

أ- المضاف إلى الظرف، نحو: "مشيتُ كلَّ النهارِ أو بعضه أو نصفَه..."، ونحو: "سرتُ شقَّ الفجرِ" و"جلستُ قرب الظهر"، و"مشيتُ مدّ النهار".

ب- صفته، نحو: "صمتُ قليلًا"، و"جلست غربيَّ الجامعة".

ج- اسم الإشارة، نحو: "صمتُ هذا اليومَ".

د- العدد المميّز بالظرف أو المضاف إليه، نحو: "سرتُ أربعين ساعةً"، ونحو: "استرحتُ ثلاثةَ أيامٍ".

ه- المصدر المتضمّن معنى الظرف، نحو: "جئتُك صلاةَ العصر"، و"انتظرتُك كتابةَ صفحتين".

و- ألفاظ مسموعة توسّعوا فيها، فنصبوها نصب ظروف الزمان على تضمينها معنى "في" نحو: "أحقًّا أنّك

ذاهب". و"ظنًّا منِّي أنك قادم"، و"غير شكٍّ إنك صادق".

4. **المعرَب والمبنيّ من الظروف:** الظروف كلها معربة إلا ألفاظًا محصورة جاءت مبنيَّة وهي: الآن، إذ، إذا، أمسِ، أنَّى، أيانَ، أينَ، بعدَ بينا، بينما، ثمَّ، حسبُ، حيثُ، حيثُما، دون، ريثَ، ريثما، علُ، عوضُ، قبلُ، قطُّ، كيفَ، كيفما، لدى، لدُنْ، لما، متى، مذْ، منذ، معَ، هنا. وما قُطِعَ من أسماء الجهات الست.[1]

5. **الظرف المتصرِّف وغير المتصرِّف:** الظروف نوعان: متصرِّف وغير متصرِّف. والظرف المتصرِّف هو الذي يفارق الظرفيّة إلى حالة لا تشبهها، فيكون فاعلًا، نحو: "جاء يومُ الخميس"، أو مفعولًا به، نحو: "أحببتُ يومَ قدومِك"، أو مبتدأ نحو: "الشهرُ شهرُ صوْمٍ" أو خبرًا، نحو: "هذه ساعةُ الامتحان"، أو مضافًا إليه، نحو: "سرتُ نصفَ نهارٍ". أما الظرف غير المتصرِّف فلا يفارق الظرفيّة، نحو: "قطُّ" و"عَوْضُ" في قولك: "ما فعلته قطُّ"، وقولك: "لا أفعلُه عوضُ".

6. **ما يتعلّق به الظرف:** انظر: تعليق شبه الجملة.

[1] انظر كلًّا في مادّته.

المفعول لأجله، المفعول له:

1. **تعريفه:** المفعول له أو لأجله أو من أجله، مصدر يبيّن سبب ما قبله، ويُشارك عامله في الزمان وفي الفاعل، ويُخالفه في اللفظ، نحو: "وقفتُ احترامًا لمعلّمي". فالمفعول له هنا "احترامًا" مصدر يُبيّن سبب الحدث الذي قبله وهو "الوقوف"، ويشاركه في الزمان، لأن "الاحترام و"الوقوف" حدَثَا في وقت واحد، ويُشاركه في الفاعل لأنّ "القيام" و"الإجلال" كان من فاعل واحد. وهو مخالف للفعل في اللفظ، إذ إنه ليس من لفظ الفعل.

2. **أحكامه:** إذا استوفى المفعول له شروطه، جاز نصبه مباشرة، وجاز جرّه بحرف من حروف الجرّ التي تفيد التعليل[1]، نحو: "سافرتُ طلبَ الاستجمام" أو"سافرتُ لطلبِ الاستجمام". ولكن إذا تجرّد من "أل" والإضافة فالأكثر نصبه، نحو: زرتك اطمئنانًا إليك"، وإذا اقترن بـ"أل"، فالأكثر جرّه بحرف جرّ، نحو: "سافرتُ للرغبة في العلم"، أمّا إن أضيف، فالنَّصب والجرّ سواء: فمن النصب الآية: "يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ" (البقرة: 265)،

[1] وأهمها: "اللام" و"في"، و"الباء" و"من".

ومن الجرّ الآية: "وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ" (البقرة: 74).

3. **ملاحظة:** اشترط النحاة في المفعول له خمسة شروط هي:

1. أن يكون مصدرًا، فلا يُقال: "جئتُك المدرسةَ" أي "لأجل المدرسة".
2. أن يكون قلبيًّا أي من فعل منشأه الحواسّ الباطنة كاالتعظيم والإجلال والخو ف، والجرأة، والرغبة، والرهبة، والعلم، والجهل، ونحوها، فلا يُقال: "جئتك كتابةً للرسالة".
3. أن يتحد مع الفعل في الزمان، فلا يُقالُ: "سافرتُ العلمَ"، لأنّ زمان "السَّفَر" ماض، وزمان (العلم" مستقبل.
4. أن يتّحد مع الفعل في الفاعل، فلا يُقال: "وقفتُ احترامَك لي"، لأن فاعل الوقوف غير فاعل الاحترام.
5. أن يكون علّة لحصول الفعل، بحيث يصحّ أن يقع جوابًا لقولك: "لِمَ فعلتَ؟" فإن قلتَ: "وقفتُ احترامًا لك"، فقولك: "احترامًا لك" بمنزلةٍ جوات لمن يسألك:

"لِمَ وقفتَ؟" أمّا إذا لم يُبيّن المصدر علَّة حدوث الفعل، فلا يُعربُ مفعولًا لأجله، بل كما يطلبه العامل المتعلّق به، فيكون مفعولًا مطلقًا، نحو: "عبدتُ الله عبادةً" أو غيره.

والمهم هنا أنّ المصدر الذي فقد شرطًا من هذه الشروط، يجب جره بحرف جرّ يفيد التعليل، نحو الآية: " وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَـٰدَكُم مِّنْ إِمْلَـٰقٍ" (سورة الأنعام: 151) ونحو: "جئتك لكتابة الرسالة"، و"سافرتُ للعلم"، و"وقفتُ لاحترامِك لي"... إلخ.

المفعول المطلق:

1. **تعريفه:** المفعول المطلق[1]مصدر أو ما ينوب عنه، يُذكر بعد فعل من لفظه أو من مرادفه، تأكيدًا لمعناه، نحو: "قرأتُ قراءةً" أو بيانًا لعهده، نحو: "دقّتِ الساعةُ دقتين"، أو بيانًا لنوعه، نحو: "سرتُ سيرَ الصالحين"، أو بدلًا من التلفظ بفعله، نحو: "صبرًا على المكاره"[2].

[1] سُمِّي بذلك لأنه ليس مقيّدًا تقييد باقي المفاعل بذكر شيء بعده، فهو مفعول على الإطلاق، لا به، ولا معه، ولا له، ولا فيه.
[2] "صبراً": معفول مطلق منصوب بالفتحة، لفعل محذوف تقديره "اصبر".

2. **ما ينوب عن المصدر:** الأصل في المفعول المطلق أن يكون مصدرًا من لفظ الفعل، ولكن هناك ألفاظ تنوب عن المصدر فتكون مفعولًا مطلقًا[1]، وهي:

أ- اسم المصدر، نحو: "كلّمتُه كلامًا".

ب- صفته، نحو: "أكرمته أحسنَ الإكرام".

ج- ضميره العائد إليه نحو قوله تعالى: "فَإِنِّيٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ١١٥" (المائدة".

د- ما يُرادفه في المعنى، نحو: "جلستُ قعودًا".

ه- عدده، نحو: "كافأته خمسَ مكافآتٍ".

و- هَيْئَته، نحو: "نمتُ نومةَ الأطفال".

ز- نوعه، نحو: "جلستُ القرفصاءَ"، و"رجع القهقري"، و"نظر شزْرًا"، و"ضربته سوطًا"، و"لعبتُ كرةَ القدم".

ح- اسم الإشارة مشارًا به إلى المصدر سواءٌ أُتبع بالمصدر، نحو: "جلستُ هذا الجلوسَ"، أم لم يُتبع، نحو جوابك: "فعلتُ ذلك" لمن سألك: "هل فعلتَ فعلًا حسنًا؟".

[1] يُعرب بعضُ مؤلّفي كتب القواعد المدرسيّة ما ينوب عن المصدر نائب مفعول مطلق، لكنّنا لم نجد هذا المصلح في المصادر النحويّة القديمة. فلماذا إضافة هذا المصطلح إلى المصطلحات النحويّة التي تكاد لا تعدّ لكثرتها.

ط- "ما" و"أي" الاستفهاميّتان، نحو: "ما احترمتَ خالدًا؟" والآية: "سَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ٢٢٧" (الشعراء: 227).

ي- "ما" و"مهما" و"أي" الشرطيات نحو: "ما تجلسْ أجلسْ"، و"مهما تجلسْ أجلسْ"، و"أيَّ سيرٍ تَسِرْ أسرْ".

ك- لفظ "كلّ" و"بعض" و"أيّ" الكماليّة مضافة إلى المصدر، نحو: "أكرمتُه كلّ الإكرام"، و"اجتهدتُ بعضَ الاجتهاد". و"سعيتُ أيَّ سعيٍ".

3. **المصدر النائب عن فعله:** هناك مصادر تُذكر بدلًا من التلفظ بأفعالها، فتُعرب مفعولًا مطلقًا، وهي ثمانية أنواع:

أ- مصدر يقع موقع الأمر، نحو: "صبرًا على المكاره"[1]، و"بلهًا الشرَّ"[2].

ب- مصدر يقع موقع النهي، نحو: "مهلًا لا عجلةً"[3]، وصبرًا لا جزعًا"[4].

---

[1] أي: اصبر صبرًا على المكاره. "صبرًا": مفعول مطلق منصوب.
[2] "بلْهَ" مصدر متروك الفعل، ويُستعمل منوَّنًا كالمثل السابق، أو مضافًا، نحو: "بلْهَ الشرِّ"، وأكثر استعمالاته اسم فعل أمر بمعنى "أترك".
[3] أي: أمهل مهلًا ولا تعجل عجلة. "مهلًا" و"عجلة": مفعولان مطلقان منصوبان.
[4] أي: اصبر صبرًا ولا تجزع جزعًا. و"صبرًا و"جزعًا": مفعولان مطلقان منصوبان.

ج- مصدر يقع موقع الدعاء، نحو: "رحمةً للكاذب"ن و"سقيًا لك ورعيًا". وممّا يُستعمل للدّعاء مصادر أُهملت أفعالها في الاستعمال، وهي: ويله، ويبَه، ويحَه، ويسَه[1].

د- مصدر يعق بعد الاستفهام موقع التوبيخ أو التعجّب أو التوجّع، نحو: "أَجُرأةً على فعل المكاره؟!".

ه- مصادر مسموعة كثُر استعمالها، ودلّت القرائن على عاملها حتى صارت كالأمثال، نحو: "سمعًا وطاعةً"، و"شكرًا"، و"عجبًا"، و"سبحانَ الله"، و"معاذَ الله" و"حاشي الله" و"لبّيك"، و"سعدَيْك"، و"حنانَيك"، و"دَواليك"، و"حذاريك". انظر كلًّا في مادته.

و- المصدر الواقع تفصيلًا لجمَلٍ قبله، نحو: "دافعوا عن الوطن فإمّا استشهادًا وإمّا خلاصًا من المحنة".

ز- المصدر المؤكِّد لمضمون الجملة قبله نحو: "أنتَ وفيٌّ حقًّا"، و"لن أذهبَ ألبتَّةَ، أو بتًّا، أو بتَّةً، أو بتاتًا".

ح- مدر لا فعل له، نحو: "ويلَ زيدٍ" أو "ويحَه"[2].

المفعول معه:

---

[1] "ويل" و"ويب" كلمتان تُستعملان للتهديد. "ويح"ن و"ويْسَ" كلمتا رحمة تُقالان عند الإنكار الذي يُراد به التنبيه على الخطأ.

[2] "ويل" مفعول مطلق لفعل محذوف مقدّر من معنى "ويل" لا من لفظه. وكذلك "ويحه". ويجوز إعراب هذا النوع من المصادر مفعولًا به لفعل محذوف.

1. **تعريفه:** المفعول معه اسم فضلة[1]، قبله واو بمعنى "معَ"[2]، مسبوقة بجملة[3] فيها فعل أو ما يشبهه في العمل وتلك الواو تدلّ نصًّا على اقتران الاسم، الذي بعدها، باسم آخر قبلها في زمن حصول الحدث، بلا قصد في إشراك الأوّل والثاني في حكم ما قبله، نحو: "سِرْ والطريقَ هذا"[4]، ونحو: "كيفَ حالُك والدرسَ؟"، و"ما أنتَ والرياضة؟".

2. **أحوال الاسم الواقع بعد الواو:** للاسم الواقع بعد الواو، خمس حالات:

1. وجوت النصب على المعيّة وذلك، إذا كان العطف يؤدّي إلى فساد المعنى أو التركيب، نحو: "سافرتُ والليلَ"[5]، و"سافرتُ وأخاك"[6].

2. وجوب العطف وامتناع المعيّة، وذلك إذا كان الفعل، أو ما يشبهه، يستلزم تعدّد الأفراد التي تشترك

---

[1] أي ليس عمدة في الجملة، بحيث يصحّ أن تنعقد الجملة بدونه.
[2] فإذا لم تكن الواو بمعنى "مع" لا نُعرب ما بعدها مفعولًا معه، بل معطوفًا على ما قبله، نحو: "جاء محمدٌ وسعيدٌ قبله". فَـ"سعيد" هنا معطوف على "محمد".
[3] فإذا سبقه مفرد (أي ما ليس بجملة ولا شبه جملة)، كان معطوفًا على ما قبله، نحو: كلُّ امرئ وشأنُه". "كل" مبتدأ مرفوع. "امرئ" مضاف إليه. والواو حرف عطف. "شأنُه" معطوف على "كل" والخبر محذوف وجوبًا.
[4] الواو للمعيّة. "الطريق" مفعول معه منصوب.
[5] الواو للمعيّة، "الليل" مفعول معه منصوب. ولا يجوز اعتبار الواو هنا حرف عطف، لأن المعنى لا يصح في "سافرتُ وسافرَ الليل".
[6] لا يجوز اعتبار الواو هنا حرف عطف، لأن العطف على الضمير المرفوع المتّصل لا يصح إلا مع توكيده بضمير منفصل، لكنّ بعضهم يُجيزه.

في معناه اشتراكًا حقيقيًّا، أو إذا كانت المعيَّة تُفسد المعنى، ومثال الأوّل: "تخاصَمَ سعيدٌ ومحمّدٌ"، ومثال الثاني: "ظهر سعيدٌ والقمرُ قبلَه"[1].

3. جواز عطفه على الاسم السابق، أو نصبه مفعولًا معه، مع ترجيح العطف، إذا كان العطف هو الأصل، نحو: "أشفق المعلمُ والتلميذُ على المسكين"، فكلمة "التلميذ يجوز رفعها بالعطف على "الرجل"، أو نصبها مفعولًا معه، ولكن العطف أفضل، لأنّه أقوى في الدلالة المعنويّة على المشاركة والاقتران.

4. جواز الأمرين مع ترجيح المعيّة، وذلك للفرار من عيب لفظيّ أو معنويّ، ومثال اللفظيّ: "جئتُ والمعلّمُ" فكلمة "المعلم" يجوز فيها الرفع عطفًا على الضمير المتصل في "جئت"، كما يجوز فيها النصب على المعيّة، وهذا أحسن، لأن العطف على الضمير المرفوع المتّصل يشوبه بعض الضعف، إذا كان بغير فاصل بين المعطوف والمعطوف عليه. ومثال المعنويّ

[1] الواو حر عطف. "القمرُ" معطوف على "سعيد" مرفوع. ولا تجوز المعيّة هنا بسبب وجود "قبلَه". وكذلك يجب العطف إذا لم تتقدّم الواو جملة تشتمل على فعل أو شبهه، نحو: "كلُّ رجل ومهنتُه".

"لا ترغب الجنّةَ والذلَّ" فالمعنى المراد ليس النهي عن الأمرين وإنما الأوّل مجتمعًا مع الثاني[1].

5. امتناع النصب والعطف معًا، نحو: "علفتُها تبنًا وماءً باردًا"، إذا لا يصحّ عطف "ماء" على "تبنًا" لأنّ الماء لا يُعلَف، كما لا يصحّ نصب "ماء" على المعيّة لعدم وجود فائدة من مصاحبة التبن والماء. لذلك نُعرب "ماءً" مفعولًا به لفعل محذوف، تقديره: سقيتها.

[1] يوجب بعض النحاة النصب على المعيّة في هذا المثال، ومذهبهم صحيح بنظرنا، لأنّ العطف يفيد التشريك في الحكم، والتشريك هنا غير مُراد.

رائد المدرسة الكلاسيكية للشعر العربي في العصر الحديث ، ينتمي إلي أسرة شركسية الأصل عاشت في مصر ، حيث ولد و نشأ و ألتحق بالكلية الحربية وتخرج فيها ، وظل يترقي حتي وصل إلي منصب وزير الجهادية ، ثم تولي رئاسة الوزارة ، ثم إنضم إلي الثورة العرابية وانتهي الأمر بفشل الثورة و احتلال الإنجليز مصر ، ونفي البارودي إلي جزيرة سرنديب.

الجو العام : - عندما نفي محمود سامي البارودي إلي جزيرة سرنديب راح يشتاق و يتذكر موطن نشأته و ملعب صباهالجميل في روضة المنيل التي تطل علي نهر النيل حيث الطبيعة الساحرة و الحدائق الجميلة ، وهو يتمني في هذه الأبيات لو يستطيع أن يعيد هذه الذكريات الجميلة المحببة إلي نفسه.

الأفكار الأساسية : 1 – شوق و ذكريات. 2 – أمنية الرجوع إلي موطن الذكريات. 3 – الطبيعة الجميلة في منيل الروضة . 4 – أيام لا تنسي . 5 – الحر الكريم يرعي العهد و يحافظ علي الود.

– 1 شوق و ذكريات

– 1أين أيام لذتي و شبابي ؟ * * * أتراها تعود بعد الذهاب ؟ 2 - ذاك عهد مضي و أبعد شئ * * * أن يرد الزمان عهد التصابي. 3 – فأديرا علي ذكراه إني * * * منذ فارقته شديد المصاب. 4 – كل شئ يسلوه ذو اللب إلا * * * ماضي اللهو في زمان الشباب.

اللغويات:

معناها الكلمة معناها الكلمة معناها الكلمة

زمن مر و فات

جمع عهد : عهود عهد مضي هل تظنها . أتراها سعادتي.

جمعها : لذات لذتي

يعيد يرد اسم تفضيل أكثربعدا أبعد ترجع تعود

ذكريات الشباب ذكراه أعيدا- الخطاب للمثني أديرا زمن الشباب عهد التصابي

صاحب العقل ذو اللب ينساه يسلوه شديدالألم و المرض شديد المصاب

الشرح-:

يعبر الشاعر عن الأسف و الحزن لفراق وطنه الحبيب ، فيتسائل أين ذهبت أيام السعادة و الشباب ؟ هل تعود مرة أخري؟ - ثم يجيب بأن أيام الشباب لا تعود ، وأنها ذهبت بلا عودة. – ثم يطلب من صاحبيه (مثل القدماء) أن يعيدا عليه ذكريات الأيام التي لا يمكن نسيانها ، و يؤكد أنه في شدة الألم و الحزن منذ فارق وطنه ، ويؤكد أن صاحب العقل يستطيع نسيان كل شئ إلا ذكريات الماضي السعيد أيام المرح و السعادة و الشباب. 2 - أمنية الرجوع إلي موطن

الذكريات. 5 – ليت شعري متي أري روضة المنـــــــــــــيل ذات النخـــــــــــيل و الأعـــــــــــناب .
6 – حيث تجري السفـــين مستبقـــات * * * فـوق نهـــر مثـــل اللجـــين المـــــــــــــذاب . 7 – قـد
أحاطـــت بـــشاطئـيه قصور * * * مـــشرقات يلحـــــن مـــــثل القبـــــــــــاب . 8 – مـــلعب تـــسرح
النواظر منـــه * * * بـــــين أفنـــــان جـــــــــنة و شعـــــــاب . 9 – كلمـــــا شـــــافه النسيم ثراه
* * * عـــــــا د منـــــه بنفحـــــــــة كـالمـــــلاب.

اللـــــــــــــغويات:

معناها الكلمة معناها الكلمة

معناها الكلمة

السفن م سفينة السفـــين صاحبة ج ذوات ذات ليتني أعلم – ليت شعري

الفضة السائلة اللجين المـــذاب الفضة اللجـــين متسابقات مستبقـــات

مرتفعات م قبة القبـــــاب مثني المفرد شاطئ شاطئـيه شجر الكروم الأعـــــــناب

العيون م ناظر النواظر تجول بحرية تـــــسرح مكان وا سع ج ملاعب مـــلعب

مسيل الماء م شعب شعـــــاب حدائق ج جنات جـــــــــنة أغصان م فنن أفنـــــان

نوع من الطيب الملاب رائحة عطرة ج نفحات نفحـــــــــة كلمه – المرا د قاربه شـــــــافه

الشـــــرح- :

يوضح الشاعر أن الأماكن التي قضي فيها شبابه بعيدةليؤكد عن رغبته في رؤيتها من جديد ، فإنها روضة المنيل ذات الأ شجار الجميلة من نخيل و كروم ، التي تطل علي النيل حيث تجري السفن فيه كأنها تتسابق علي مياه النهر الفضية ، وقد حفت بشاطئيه قصور تتلألأ كأنها قباب عالية و حدائق ممتدة يمتد النظر في أنحائها مستمتعا بما فيها من أ شجار وارفة و مياه جارية. – و كلما هب النسيم علي أرضها الندية عا د وقد امتلأ بروائح أزهارها العطرة.

– 4أيام لا تنسي

– 10 ذاك مرعي أنسي وملـــعب لـــهوي * * * و جنـــي صبـــوتي و مغـــــــني صحـــابي.

– 11لست أنســـــاه ما حييـــت و حا شي * * * أن ترانـــي لعهـــده غير صـــــــــــابي.

- 5الحر الكريم يرعي العهد و يحافظ علي الو د.

– 12ليس يـــرعي حـــق الو دا د ولا يـذ كـر عهـــــدا إلا كـــــــريم النصـــــاب.

– 13فلئـــــــن زال فا شتيـــــاقي إليـــــه * * * مثل قولـــي باقـــــــي علـــي الأحـــقاب.

اللـــــــــــــغويات

معناها الكلمة معناها الكلمة معناها الكلمة

مكان وا سع ج ملاعب وملـــــعب مكان لقاء الأ صدقاء مرعي أنسي الأرض الخضراء

ج مراعي مرعي

شبابي صبـــــوتي كل ما يجمع جنـــــي مرحي لـــــهوي

يحافظ يـــــرعي متشوق صابــي منزل - مكان مغـــــــــني

الأزمان الطويلة م حقبة الأحـــــقاب حنيني ا شتيـــــــاقي الحب الو دا د

الشـــــرح- :

يوضح الشاعر أنه قضي أيام شبابه بين أهله و أ صحابه ، وهي أيام لا يستطيع أن ينساها مهما أمتدت به الحياة . – و كأنه عقد معها عهدا و الإنسان الحر الكريم هو الذي يرعي العهد و يحافظ علي الو د ، و إذا كان الشباب قدزال و انقضي فإن الشوق و الحنين إلي تلك الأيام لن ينقضي أبد بل هو باق علي مر الزمن مثل بقاء شعره الخالد.

-من مظـــأهر الجمـــــــــــــــال:

) -أين أيـــــام لـــــــذتي و شـــــبابي ؟) أ سلوب إنشائي – نوعه : ا ستفهام - الغرض البلاغي : بيان الأ سف و الحزن – (أتراهـــــا تعـــــــــو د بعد الـــــــــــذهاب ؟) أ سلوب إنشائي – نوعه : ا ستفهام - الغرض البلاغي : توضيح أن أيام الشباب لا تعو د . – (ذاك عهـــــد مـــضي و أبعـــــد شـــــئ) كناية عن أن أيام الشباب لا تعو د – القيمة الفنية : الأتيان بالمعني مصحوبا بالدليل. – (يرد الزمـــــــان) ا ستعارة مكنية – شبه الزمان بإنسان بخيل لايرد ما يأخذه/ سر الجمال : التشخيص . – (يرد الزمـــــان عهـــــــد الـــتـصابـــــي) ا ستعارة مكنية – شبه أيام الشباب بشئ ما دي لا يرد سر الجمال : التجسيم. – (فأديرا علي . . .) أ سلوب إنشائي - نوعه : أمر - الغرض البلاغي : التو سل و الرجاء . – وفيها تقليد القدماء في مخاطبة الصديقين. – (البيت الخامس) كناية عن شوق الشاعر لرؤية روضة المنيل ، و يوضح حزنة لصعوبة تحقيق هذه الأمنية. – القيمة الفنية : الأتيان بالمعني مصحوبا بالدليل. – (نهـر مثـــل اللجـــين المـذاب) تشبيه – حيث شبه ماء النهر بالفضة السائلة في صفائها – سر الجمال : التوضيح. – (قصور مـــشرقات يلحـن مـثل القبـاب) تشبيه – حيث شبه القصور بالقباب في علوها وضخامتها – سر الجمال : التوضيح. – (شـــــــافه النسيم ثراه) ا ستعارة مكنية – شبه النسيم بإنسان يكلم ثري روضة المنيل / سر الجمال : التشخيص . - (عـا د منـــــه بنفحـة كـالمـلاب) تشبيه – حيث شبه النسيم بعد ملامسة ثري روضة المنيل بإنسان يعو د محملا بالروائح الذكية القيمة الفنية : التشخيص و التوضيح . وهو تصوير مأخوذ من التراث الشعري القديم . – (ولا يـذ كـــر عهـدا إلا كـريم النـصـاب) أ سلوب قصر – با ستخدام النفي و الأ ستثناء – الغرض البلاغي : التوكيد و التخصيص . – وهذا القول حكمة ينطق بها الشاعر ، ليفخر بنفسه ، لأنه يؤكد علي وفائه و كرمه . - (فا شتيـــاقي إلـيـه

مثل قولـــــي باقـي علـــــي الأحـقاب) تشبيه – حيث شبه ا شتياقه و حنينه إلي ذكريات الشباب و ملاعب صباه بأنها خالدة باقية علي مر الزمان مثل خلو د شعره .- سر الجمال : التوضيح . – من المحسنات البديعية : – التصريع بين شطري البيت الأول في (شبابي – الذهاب) سر الجمال : يبعث المو سيقا في الكلام . – (تعو د- الذهاب) ، (مضي – ير د) ، (زال – باق) تضا د ، نوعه : طباق – سر الجمال : يبرز المعني و يوضحه. – (مرعي أنسي – ملعب لهوي – جني صبوتي – مغني صحابي) حسن تقسيم – سر جماله : يبعث المو سيقي في الكلام.

المناقشة و التدريبات

السؤال الأول : 1 – أين أيـــام لـــــذتي و شـــبابي ؟ * * * أتراهـــا تعـــــو د بعد الـــــــذهاب ؟ 2 - ذاك عهـــد مـــضي و أبعـــد شـــئ * * * أن ير د الزمـــان عهـــد التـــــصابـــي. 3 – فـــأ ديرا علـــــي ذكـــراه إنـي * * * منـــــذ فارقته شـــــديد المـصـــــاب. 4 – كل شـــــئ يـــسلـوه ذو اللـب إلا * * * ماضي اللـهو فـي زمـــــان الـشـــــباب.

أ –" لذتي " " يسلوه " هات معني الكلنة الأولي ، ومضا د الكلمة الثانية في جملتين من تعبيرك.

ب- ا شرح الأبيات السابقة بأ سلوب أ دبي.

ج- هات من الأبيات صورة بلاغية ، وبين نوعها ، وقيمتها الفنية.

د- دلل من البيت الثالث علي تأثر الشاعر بأ سلوب القدماء.

السؤال الثاني :– ليت شعري متي أري روضـــة * * * المنـــــيل ذات النـخـــــيل و الأعـــناب . – حيث تجري السفـين مستبقـــات * * * فـوق نهـــر مثـــل اللجـين المـــــــذاب . – قـد أحاطـت بـشاطئـيه قصور * * * مـشرقات يلحـــن مـــثل القبـــــاب.

أ – "مستبقات " ، " اللجين " هات مضا د الكلمة الأولي ، ومعني الكلمة الثانية في جملتين من تعبيرك.

ب- كان الشاعر بارعاً في و صفه لروضة المنيل .. ناقش ذلك.

ج- هات من البيت الثالث صورة بلاغية ، وبين نوعها ، وقيمتها الفنية.

د – ما أهم الخصائص الفنية للشاعر في ضوء درا ستك للنص ؟

السؤال الثالث: مـــلعب تـــسرح النواظر منـه * * * بـــين أفنـــان جـــــنة و شعـــــاب.

كلمـــا شـــافه النسيم ثراه * * * عـــــا د منـــه بنفحـــــة كـالمـــلاب.

ذاك مرعي أنسي وملـــعب لـــهوي * * * و جنـــي صبـــوتي و مغـــــني صحـابي.

" 1. شفافه " ، "النواظر " هات معني الكلمة الأولي ، ومفر د الكلمة الثانية في جملتين في جملتين من تعبيرك.

2.تحد ث عن مضمون الأبيات بأ سلوب أ دبي.

3.هات من البيت الثاني صورة بلاغية ، وبين نوعها ، وقيمتها الفنية.

4.في البيت الثالث موسيقي ظاهرة ، وضح مصدرها.

السؤال الرابع:

لست أنســـــاه ما حييـــت و حا شي * * * أن ترانـــي لعهـــده غير صـــــــــــابي.

ليس يـــرعي حـــق الودا د ولا يـذ * * * كـــر عهـــدا إلا كـــــريم النصـــــاب.

فلئـــــن زال فا شتيـــــاقي إلـيـــــه * * * مثل قولـــي باقـــــي علـــي الأحـــقاب.

" 1. صاب " ، " ا شتياقي " هات معني الكلمة الأولي ، ومضا د الثانية في جملتين مفيدتين من تعبيرك.

2.ا شرح الأبيات السابقة بأ سلوب أ دبي.

3.هات من البيت الثاني أ سلوب قصر ، وبين و سيلته وقيمته الفنية.

4.ا ستخرج الخيال من البيت الثالث ، وبين نوعه ، و سر جماله.

المحكم والمتشابه

فالمحكم هو اللفظ الواضح الدلالة على معناه، والمتشابه هو ما استأثر الله تعالى بعلمه.

وقال بعض العلماء :المحكم هو ما استقل بنفسه ولم يحتج إلى بيان، والمتشابه هو ما لا يستقل بنفسه، ويحتاج إلى بيان.

والناسخ والمنسوخ مصطلحان عرفا عند أهل الأصول، فالنسخ هو رفع الحكم الشرعي المتقدم بخطاب متأخر بحيث لو لم يرد لكان الحكم الأول باقياً.

والناسخ هو الحكم المتأخر الذي ارتفع به الحكم السابق، والمنسوخ هو الحكم المتقدم الذي ارتفع ولم يعد يعمل به.

المحكم لغة: أحكمت وتشابها

قال الله تعالى: "هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابها"

وقد حكى ابن حبيب النيسابوري في المسألة ثلاثة أقوال: أحدها: أن القرآن كله محكم لقوله تعالى: كتاب أحكمت آياته" الثاني: كله متشابه لقوله تعاله: كتاباً متشابها مثاني" الثالث وهو الصحيح اصطلاحًا إلى محكم ومتشابه للآية المصدر بها.

تعريف المتشابه: لغة مأخوذة من الشبه وهو التماثل بين شيئين. التماثل بين الأشياء يؤدي إلى الشك والحيرة ويوقع في الالتباس، فتوسعوا في اللفظ وأطلقوا عليه اسم المتشابه يقال "اشتبه الأمر عليه".

اصلاحًا: فقد اختلف فيه أيضًا على أقوال:

* ما استأثر الله بعلمه كقيام الساعة

* وخروج الدابة والدجال

* ما لم يستقل بنفسه واحتاج إلى بيان برده إلى غيره

* ما احتمل أكثر من وجه

* ما كان غير واضح الدلالة ويحتمل النسخ.

الناسخ والمنسوخ

للنسخ في اللغة معان كثيرة:

1- النسخ لمعنى الرفة الإزالة قوله : فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته.

2- النسخ لمعنى "النقل يقال" نسخت الكتاب إذا نقلت ما فيه ومنه المناسخة في المقاريث.

3- النسخ لمعنى التبديل ومنه إذا بدلنا آية مكان آية.

تعريف النسخ والناسخ والمنسوخ

تعريف الناسخ:

الناسخ: اسم فاعل من نسخ ينسخ فهو ناسخ، والناسخ حقيقة هو الله تعالى، فهو الذي ينسخ ما شاء بما شاء، كما قال تعالى: ﴿ مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا ﴾ [البقرة: 106].

وقد يطلق الناسخ على النص الذي رفع به الحُكم السابق، سواء كان آية أو حديثًا قوليًّا أو فعليًّا أو تقريريًّا من النبي صلى الله عليه وسلم.

تعريف المنسوخ:

المنسوخ: اسم مفعول من الفعل الثلاثي نسخ، نُسخ - بالبناء على المجهول - نسخًا، فهو منسوخ.

والمراد: الحُكم الشرعي الذي رُفع بدليل شرعي متراخٍ عنه؛ كمصابرة الواحد للعشرة، فهذا حكم منسوخ بمصابرته لاثنين، كما في سورة الأنفال.

تعريف النسخ في اللغة:

النَّسخ: مصدر للفعل الثلاثي: نسخ، يقال: نَسَخت أنسَخ نسخًا، ويأتي بمعان: الإزالة - والإبطال - والنقل والإثبات، والتحويل والتبديل:

وإلى بيان هذه المعاني:

الإزالة والإبطال: يقال: نَسَخت الشمس الظل: أزالته، ونسخت الرياح الآثار: أزالتها وأبطلتها، يقول الراغب في المفردات: "النَّسخ: إزالة شيء بشيء يتعقبه؛ كنسخ الشمس الظل، والظل الشمس، والشيب الشباب."

ومنه قوله تعالى: ﴿ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ ﴾ [الحج: 52]؛

يقول العلامة الشنقيطي في أضوائه: "..لأن النَّسخ هنا هو النَّسخ اللغوي، ومعناه: الإبطال والإزالة، من قولهم: نسخت الشمس الظل، ونسخت الريح الأثَر."

النقل والإثبات: أي: النقل من موضع إلى آخر، يقال: نسخت الكتاب: إذا نقلت ما فيه حاكيًا للفظه وخطه، وفي هذا يتحقق كذلك معنى الإثبات، كما يقول الراغب: "ونسخ الكتاب: نقلُ صورته المجردة إلى كتاب آخر، وذلك لا يقتضي إزالة الصورة الأولى، بل يقتضي إثبات مثلها في مادة أخرى."..

ومنه قوله تعالى: ﴿ هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [الجاثية: 29]؛ روى البخاريُّ رحمه الله تعالى عن مجاهد بن جبر أنه قال: "أي: نكتب."

التحويل: وذلك كتناسخ المواريث، بمعنى تحويل الميراث من واحد إلى واحد.

تعريف النَّسخ في الاصطلاح:
قال الإمام الشوكاني : " هو رفع حكم شرعي بمثله مع تراخيه عنه."

التحريف

التحريف لغة: تحريف لغة حرف الشيء طرفه جانبه

حرف الشيء: طرفه وجانبه، وتحريفه: إمالته والعدول به عن موضعه إلى طرفٍ أو جانب. قال تعالى: ((وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللهَ عَلَى حَرْفٍ))[1]. قال الزمخشري: "أي على طرفٍ من الدين لافي وسطه وقلبه، وهذا مثلٌ لكونهم على قلقٍ واضطرابٍ في دينهم، لاعلى سكونٍ وطمأنينة"[2].

التحريف اصطلاحاً

أمّا التحريف في الاِصطلاح فله معانٍ كثيرة:

منها: التحريف الترتيبي: أي نقل الآية من مكانها إلى مكان آخر، سواء كان هذا النقل بتوقيف أو باجتهاد، فلا خلاف في وقوعه، إذ كم من آية مكّية بين آيات مدنيّة، وبالعكس.

ومنها: التحريف المعنوي، ويراد به حمل اللفظ على معانٍ بعيدة عنه لم ترتبط بظاهره، مع مخالفتها للمشهور من تفسيره، وهذا النوع واقع في القرآن، وذلك عن طريق تأويله من غير علم، وهو محرّم بالاِجماع لقوله (صلى الله عليه وآله وسلم): "من قال في القرآن بغير علم فليتبوّأ مقعده من النار"[3] وهو من التفسير بالرأي المنهي عنه، قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): "من فسَّر القرآن برأيه وأصاب الحق فقد أخطأ"[4] وهذا المعنى منحدر عن الاَصل اللغوي لتحريف الكلام.

ومنها: التحريف اللفظي، وهو على أقسام:

منها: التحريف بالزيادة والنقصان، وهو على ثلاثة أنحاء:

أ ـ تحريف الحروف أو الحركات، وهذا راجع إلى القراءات القرآنية، وهو باطل إلاَّ في ألفاظ قليلة كقراءة قوله تعالى: ((وَامْسَحُواْ بِرُؤُسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ))[5] بكسر لفظة الاَرجل ونصبها، وغيرها ممّا لم يخالف أُصول العربية وقراءة جمهور المسلمين، وورد به أثر صحيح.

ب ـ تحريف الكلمات، وهو إمَّا أن يكون في أصل المصحف، وهو باطل بالاِجماع، وإمَّا أن تكون زيادة لغرض الاِيضاح لما عساه يشكل في فهم المراد من اللفظ، وهو جائز بالاتفاق.

ج ـ تحريف الآيات أو السور، وهو باطل بالاِجماع.[6]

1 ـ التحريف بالزيادة: بمعنى أنّ بعض المصحف الذي بين أيدينا ليس من الكلام المنزل، والتحريف بهذا المعنى باطلٌ بإجماع المسلمين، بل هو ممّا عُلِم بطلانه بالضرورة، لانّه يعني أنّ بعض مابين الدفّتين ليس من القرآن، ممّا ينافي آيات التحدّي والاعجاز، كقوله تعالى: ((قُل لئنِ اجتَمَعَتِ الانسُ والجِنُّ عَلَى أن يأتُوا بمِثْلِ هَذا القُرآنِ لا يأتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً)).[7]

2 ـ التحريف بالنقص: بمعنى أنّ بعض المصحف الذي بين أيدينا لايشتمل على جميع القرآن الذي نزل من السماء، بأنْ يكون قد ضاع بعض القرآن على الناس إمّا عمداً، أو نسياناً، وقد يكون هذا البعض كلمةً أو آية أو سورة، والتحريف بهذا المعنى هو موضوع البحث حيثُ ادّعى البعض وقوعه في القرآن الكريم استناداً إلى أحاديث هي بمجملها إمّا ضعيفة سنداً، أو مؤولة بوجهٍ يُخْرِجها عن إفادة ذلك، وإلاّ فهي أحاديثٌ وأخبارٌ مدسوسةٌ وباطلةٌ، قد أعرض عنها محققو المسلمين على مرّ العصور، على ما سيأتي بيانه في ثنايا هذا البحث.

تعريف بالإمام البخاري

الإمام البُخاريّ هو مُحمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المُغيرة الجعفيّ البُخاريّ، ويُكنى بأبي عبد الله، وسُميّ الجعفي بذلك؛ لأن جده المُغيرة كان مجوسياً وأسلم على يد شخص يُسمى اليمان وكان جُعفياً فانتسب إليه، وُلد البُخاريّ في يوم الجُمعة الثالث عشر من شهر شوال في السنة مئة وأربعة وتسعين، ورحل في طلب العلم وهو ابن العاشرة إلى جميع الأمصار، وسمع منه الحديث أكثر من تسعين ألف شخص، وكان عند كتابته للحديث يُصلي ركعتين، ثُمّ يضعُهُ في كتابه، وبلغ عدد الأحاديث في صحيح البخاري أكثر من ستة آلاف حديث، وكان حافِظاً، وذكروا أمامَه لاختباره مئة حديثٍ مقلوبة السند، فأعادها صحيحةً بأسانيدها التي ذُكرت بها، وتوفي سنة مئتين وستةٍ وخمسين، وكان عُمُره يقارب الاثنتين وستين سنة، ولم يترُك أولاداً ذُكوراً بعده.

نسب الإمام البخاري ونشأته

يُنسب الإمام البُخاريّ إلى إسماعيل بن إبراهيم بن بَردِزبة، وكان بَردِزبة فارسياً، ثُمّ أسلم على يد المُغيرة، وأتى على بُخارى فَنُسب إليها؛ لأنهم كانوا ينسبون الشخص إلى من أسلم على يده بسبب الولاء، أما جده إبراهيم فلا توجد عنه معلومات، وأمّا والدُه إسماعيل فكان من رواة الحديث، وقد تعرض له ابن حبان في مصنفه المسمى بالثِقات، واشتهر بحرصه على المال الحلال حتى نُقِل أنه لا يُعلم في ماله شيئاً من الحرام أو فيه شُبهة، ولمّا توفي كان ابنه مُحمد صغيراً.

حج البخاري مع أُمّه وأخيه، وأقام بمكة المكرمة؛ لِطلب العلم، وأُلهم طلب الحديث وحفظه وهو لا يزال صغيراً في الكُتّاب، وكان يصحّحُ لبعض أهل الحديث وهو ابن إحدى عشرة سنة، ورحل في طلب العلم إلى الشام، ومصر، والجزيرة العربيّة، والبصرة، والحِجاز، والكوفة، وبغداد، وكانت نشأة الإمام البُخاريّ في أُسرةٍ مُتديّنة، غنيّة، وكانت أُمّه من أهل الكرامة والولاية، وروي أن مُحمداً ابنها فقد بصره وهو صغير، فدعت الله -تعالى- بإن يُرجع له بصره، فاستجاب الله -تعالى- لها.

سيرة الإمام البخاري وأخلاقه

أثنى على الإمام البُخاريّ الكثير من المُحدثين ومن أئمة الإسلام، واعترفوا له بالفضل في علم الرجال وعلم علل الحديث، فقد قال عنه عمرو بن علي الفلاس: حديثٌ لا يعرفُه مُحمد بن إسماعيل فليس بِحديث، وأرشد إسحاق بن راهويه تلامذته للكتابةِ عن البخاري، وكان عُلماءُ مكة يصفونه بإنه إمامُهم وفقيهُهم[٤] . كما أنه جمع بين الحديث والفقه، والورع والصلاح، والعلم والعبادة؛ فهو كثير التلاوة والصلاة، وخاصةً في رمضان؛ فقد كان يختم فيه القُرآن مرةً كُل نهار، ويختمه في الليل كُل ثلاثِ ليالٍ في قيامه بعد التراويح، وكان إذا عَرَض له شيءٌ في الصلاة لا يقطعها حتى يُتمّها، ولشدة وَرَعه كان يقول: أرجو أن ألقى الله ولا يحاسبني أني اغْتبتُ أحداً، بالإضافة إلى أنّه كان مُستجاب الدعوة، فدعا أن يموت بعد أن ضاقت عليه الأرض، فمات بعدها بشهر، واشتُهر بالكرم وكثرة الإنفاق على الفُقراء والمساكين[٤]، وعُرِف بعزة نفسه، وعفة يده، وكان مُرهف الحس، عفيف اللسان، زاهدا، وكان دائِم التعليم بالنهار، والتهجُد بالليل، وكان يكتسب المال عن طريق المُضاربة بما ورثه عن أبيه من مال؛ كي يتفرغ لتعلُّم الحديث والسُنة، وكان بعيداً عن حُبِّ المال، مُتّصفاً بالإيثار، كثير التمسُّك بِالسُنّة، بعيداً عن مُجالسة الأُمراء، وقال عنه قُتيبة بن سعيد: أنه كعُمر بن الخطاب في الصحابة.

مكانة الإمام البخاري في علم الحديث

كان الإمام البُخاريّ مُشتهراً بِالذكاء بين الناس، وامتُحن بمئة من الأحاديث مقلوبة السند، وأعادها بأسانيدها الصحيحة، وعلّق الحافظ ابن حجر على ذلك: وذلك لحفظه، فقد حفظ الأسانيد بأخطائِها، ثُمّ أعادها بالصحيح، وتناول العُلماء كتابه صحيح البخاري بالشرح والتعليق، الذي كان المجال العلميّ الذي يظهر فيه الاهتمام بالكُتب في تلك العُصور، وعلامةُ نجاحٍ له، وخاصةً بعد أن اعترفوا أنه أصح الكتب بعد القُرآن الكريم، وقد بلغت الشُروحات والتعليقات عليه قُرابة المائة والثلاثين كتاباً وأكثر. وكان من أشهر الشُروحات على كتابه، كتاب فتح الباريّ للحافظ ابن حجر العسقلانيّ، وكتاب كوثر المعاني الدراري في كشف خبايا صحيح البخاري لمحمد الخضر الشنقيطي، وعوْن الباري شرح التجريد الصريح مؤلفه صديق حسن خان، وكتاب أعلام السنن للخطابي[٨]، وفي ذلك دليلٌ على جُهد الأُمة البذول في خدمة كتاب صحيح البخاري وحرصهم على العلم، والفِكر، وحُب الأمة لنبيها وآثاره، وكشفت مصنفات البخاري ومن

أهمها الصحيح عن فقهه وعمل على استنتاج الفوائد من الأحاديث ورتب الأحاديث بناءً على هذه الفوائد، ونوّع في ذكر الحديث الواحد في أبواب مختلفة بناء على المواضيع التي يشير إليها الحديث الواحد.

ومن مُصنّفات الإمام البُخاريّ غير كتابه الجامع الصحيح كلاً من الكتب الآتية: الأدب المُفرد، ورفع اليدين في الصلاة، والقراءة خلف الإمام، والتاريخ الكبير والصغير والأوسط، والضعفاء الصغير، والمسند والتفسير والجامع الكبير، وخلق أفعال العباد، والرد على الجهمية وأصحاب التعطيل، وبر الوالدين، وأسماء الصحابة، والوحدان، والهبة، والمبسوط، والعلل، والكنى، والفوائد، والاعتقاد أو السنة، والسنن في الفقه، وأخبار الصفات، وقضايا الصحابة والتابعين، والأشربة.

الإمام البخاري نسبه ونشأته:

هو محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بَرْدِزْبَه، أبو عبد الله البخاري الحافظ إمام أهل الحديث في زمانه. وُلِد البخاري (رحمه الله) في شوال سنةَ أربع وتسعين ومائة، ومات أبوه وهو صغير، فنشأ في حجر أمه، فألهمه الله حفظ الحديث وهو في المكتب، وقرأ الكتب المشهورة وهو ابن ست عشرة سنة، حتى قيل إنه كان يحفظ وهو صبي سبعين ألف حديث سردًا.

شيوخ الإمام البخاري:

سمع بمسقط رأسه بخارى من الجعفي المسندي، ومحمد بن سلام البيكندي، وجماعة ليسوا من كبار شيوخه، ثم رحل إلى بلخ، وسمع هناك من مكي بن إبراهيم وهو من كبار شيوخه، وسمع بمرو من عبدان بن عثمان، وعلي بن الحسن بن شقيق، وصدقة بن الفضل. وسمع بنيسابور من يحيى بن يحيى، وجماعة من العلماء، وبالري من إبراهيم بن موسى.

ثم رحل إلى مكة وسمع هناك من أبي عبد الرحمن المقرئ، وخلاد بن يحيى، وحسان بن حسان البصري، وأبي الوليد أحمد بن محمد الأزرقي، والحميدي. وسمع بالمدينة من عبد العزيز الأويسي، وأيوب بن سليمان بن بلال، وإسماعيل بن أبي أويس.

وأكمل رحلته في العالم الإسلامي آنذاك، فذهب إلى مصر ثم ذهب إلى الشام وسمع من أبي اليمان، وآدم بن أبي إياس، وعلي بن عياش، وبشر بن شعيب، وقد سمع من أبي المغيرة عبد القدوس، وأحمد بن خالد الوهبي، ومحمد بن يوسف الفريابي، وأبي مسهر، وآخرين.

تلامذة الإمام البخاري:

روى عنه خلائق وأمم، وقد روى الخطيب البغدادي عن الفِرَبْرِيِّ أنه قال: "سمع الصحيح من البخاري معي نحو من سبعين ألفًا، لم يبقَ منهم أحد غيري". وقد روى عنه حماد بن شاكر، وإبراهيم بن معقل، وطاهر بن مخلد، وآخر من حدَّث عنه أبو طلحة منصور بن محمد بن علي البردي النسفي، وقد تُوفِّي النسفي هذا في سنة تسع وعشرين وثلاثمائة، ووثَّقه الأمير أبو نصر بن ماكولا. وممن روى عن البخاريِّ مسلمٌ في غير الصحيح، وكان مسلم تتلمذ له ويعظمه، وروى عنه الترمذي في جامعه، والنسائي في سننه في قول

بعضهم، وقد دخل بغداد ثماني مرات، وفي كلٍّ منها يجتمع بالإمام أحمد، فيحثه أحمد على المقام ببغداد، ويلومه على الإقامة بخراسان.

ملامح شخصية الإمام البخاري:

تميَّز الإمام البخاري بصفات عذبة وشمائل كريمة، لا تتوافر إلا في العلماء المخلصين، وهذه الصفات هي التي صنعت الإمام البخاري.

1- الإقبال على العلم. قام البخاري بأداء فريضة الحج وعمره ثماني عشرة سنة، فأقام بمكة يطلب بها الحديث، ثم رحل بعد ذلك إلى سائر مشايخ الحديث في البلدان التي أمكنته الرحلة إليها، وكتب عن أكثر من ألف شيخ.

2- الجِدُّ في تحصيل العلم. وقد كان البخاري يستيقظ في الليلة الواحدة من نومه، فيوقد السراج ويكتب الفائدة تمر بخاطره، ثم يُطفئ سراجه، ثم يقوم مرة أخرى وأخرى حتى كان يتعدد منه ذلك قريبًا من عشرين مرة.

3- قوة الحفظ. وقد ذكروا أنه كان ينظر في الكتاب مرة واحدة، فيحفظه من نظرة واحدة، والأخبار عنه في ذلك كثيرة.

4- أمير المؤمنين في الحديث. دخل مرة إلى سمرقند فاجتمع بأربعمائة من علماء الحديث بها، فركَّبوا أسانيد، وأدخلوا إسناد الشام في إسناد العراق، وخلطوا الرجال في الأسانيد، وجعلوا متون الأحاديث على غير أسانيدها، ثم قرءوها على البخاري، فردَّ كل حديث إلى إسناده، وقوَّم تلك الأحاديث والأسانيد كلها، وما تعنتوا عليه فيها، ولم يقدروا أن يجدوا عليه سقطة في إسناد ولا متن، وكذلك صنع في بغداد.

مؤلفات البخاري:

وقد صنَّف البخاري ما يزيد على عشرين مصنفًا، منها:

- الجامع الصحيح المسند من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه، المعروف بـ(الجامع الصحيح).

- الأدب المفرد. وطُبع في الهند والأستانة والقاهرة طبعات متعددة.

- التاريخ الكبير. وهو كتاب كبير في التراجم، رتب فيه أسماء رواة الحديث على حروف المعجم، وقد طبع في الهند سنة (1362هـ/ 1943م).

- التاريخ الصغير. وهو تاريخ مختصر للنبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه، ومن جاء بعدهم من الرواة إلى سنة (256هـ/ 870م)، وطبع الكتاب أولَ مرة بالهند سنة (1325هـ/ 1907م).

- خلق أفعال العباد. وطبع بالهند سنة (1306هـ/ 1888م).

- رفع اليدين في الصلاة. وطبع في الهند أولَ مرة سنة (1256هـ/ 1840م)، مع ترجمة له بالأوردية.

- الكُنى. وطبع بالهند سنة (1360هـ/ 1941م).

وله كتب مخطوطة لم تُطبع بعدُ، مثل: التاريخ الأوسط، والتفسير الكبير.

صحيح البخاري:

هو أشهر كتب البخاري، بل هو أشهر كتب الحديث النبوي قاطبةً. بذل فيه صاحبه جهدًا خارقًا، وانتقل في تأليفه وجمعه وترتيبه وتبويبه ستة عشر عامًا، هي مدة رحلته الشاقة في طلب الحديث. ويذكر البخاري السبب الذي جعله ينهض إلى هذا العمل، فيقول: "كنت عند إسحاق بن راهويه، فقال: لو جمعتم كتابًا مختصرًا لصحيح سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم. فوقع ذلك في قلبي، فأخذت في جمع (الجامع الصحيح)".

وعدد أحاديث الكتاب 7275 حديثًا، اختارها من بين ستمائة ألف حديث كانت تحت يديه؛ لأنه كان مدقِّقًا في قبول الرواية، واشترط شروطًا خاصة في رواية راوي الحديث، وهي أن يكون معاصرًا لمن يروي عنه، وأن يسمع الحديث منه، أي أنه اشترط الرؤية والسماع معًا، هذا إلى جانب الثقة والعدالة والضبط والإتقان والعلم والورع.

وكان البخاري لا يضع حديثًا في كتابه إلا اغتسل قبل ذلك وصلى ركعتين. وابتدأ البخاري تأليف كتابه في المسجد الحرام والمسجد النبوي، ولم يتعجل إخراجه للناس بعد أن فرغ منه، ولكن عاود النظر فيه مرة بعد أخرى، وتعهده بالمراجعة والتنقيح؛ ولذلك صنفه ثلاث مرات حتى خرج على الصورة التي عليها الآن.

وقد استحسن شيوخ البخاري وأقرانه من المحدِّثين كتابه، بعد أن عرضه عليهم، وكان منهم جهابذة الحديث، مثل: أحمد بن حنبل، وعلي بن المديني، ويحيى بن معين؛ فشهدوا له بصحة ما فيه من الحديث، ثم تلقته الأمة بعدهم بالقبول باعتباره أصح كتاب بعد كتاب الله تعالى.

وقد أقبل العلماء على كتاب الجامع الصحيح بالشرح والتعليق والدراسة، بل امتدت العناية به إلى العلماء من غير المسلمين؛ حيث دُرس وتُرجم، وكُتبت حوله عشرات الكتب.

ثناء العلماء على الإمام البخاري

قال أبو نعيم أحمد بن حماد: "هو فقيه هذه الأمة". وكذا قال يعقوب بن إبراهيم الدورقي، ومنهم من فضَّله في الفقه والحديث على الإمام أحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه. وقال قتيبة بن سعيد: "رحل إليَّ من شرق الأرض وغربها خلق، فما رحل إليَّ مثل محمد بن إسماعيل البخاري".

وقال أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي: "محمد بن إسماعيل البخاري أفقهنا وأعلمنا وأغوصنا وأكثرنا طلبًا". وقال إسحاق بن راهويه: "هو أبصر مني". وقال أبو حاتم الرازي: "محمد بن إسماعيل أعلم من دخل العراق".

وقد أثنى عليه علماء زمانه من شيوخه وأقرانه، قال الإمام أحمد: "ما أخرجت خراسان مثله". وقال علي بن المديني: "لم ير البخاري مثل نفسه". وقال إسحاق بن راهويه: "لو كان في زمن الحسن لاحتاج الناس إليه في الحديث ومعرفته وفقهه". وقال أبو بكر بن أبي شيبة، ومحمد بن عبد الله بن نمير: "ما رأينا مثله". وقال علي بن حجر: "لا أعلم مثله".

وفاة الإمام البخاري:

كانت وفاته ليلة عيد الفطر سنةَ ستٍّ وخمسين ومائتين، وكان ليلة السبت عند صلاة العشاء، وصلى عليه يوم العيد بعد الظهر، وكُفِّن في ثلاثة أثواب بيض ليس فيها قميص ولا عمامة وفق ما أوصى به، وحينما

دفن فاحت من قبره رائحة غالية أطيب من ريح المسك، ثم دام ذلك أيامًا، ثم جعلت ترى سواري بيض بحذاء قبره، وكان عمره يوم مات ثنتين وستين سنة. رحمه الله رحمة واسعة، وأسكنه فسيح جناته.

الإمام مسلم

الإمام مسلم هو أبو الحسن مسلم بن الحجاج النيسابوري، إمام مهيب جليل من أئمة المسلمين، وتلميذُ الإمام محمد بن إسماعيل البخاري النجيبُ، وهو صاحب كتاب صحيح مسلم الذي يجمع عددًا كبيرًا من الأحاديث الصحيحة عن الرسول صلّى الله عليه وسلّم، ويُعدُّ صحيح الإمام مسلم أصح كتاب بعد القرآن الكريم وصحيح البخاري، وقد قضى الإمام مسلم حياته في طلب العلم، أخذ علمه عن علماء كثر، وارتحل كثيرًا في من أجل العلم، فرحل إلى الشام والمدينة المنورة ومكة المكرمة والبصرة وبغداد والكوفة ومصر، وقضى حوالي خمسة عشر عامًا من حياته في طلب حديث رسول الله، وقد أخذ مسلم الحديث عن مجموعة من أهل العلم، أشهرهم: أحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه وأبي زرعة الرازي والبخاري، وهذا المقال سيتحدّث عن الإمام مسلم من جوانب مختلفة.

مولد ونشأة الإمام مسلم

ولد الإمام مسلم في مدينة نيسابور، ونيسابور مدينة من أشهر مدن خراسان، وكان مولده عام 206 للهجرة وهو ما يوافق عام 822م، وقد نشأ في بيت ملؤه التقوى وزاده الصلاح والهُدى، والده الحجاج بن مسلم القشيري كان محبًا من محبي العلم، وهو من الملتزمين في حلقات العلم التي كان يقيمها العلماء، فنشأ مسلم على العلم وكبر في جوٍّ إيماني مناسب، وهذا ما أتاح له فرصة البدء بطلب العلم في سن مبكرة، فقد سمع حديث رسول الله -صلّى الله عليه وسلّم- وهو في الثامنة عشرة من عمره، قال الذهبي عنه: "وأول سماعه في سنة ثماني عشرة من يحيى بن يحيى التميمي، وحج في سنة عشرين وهو أمرد"، ومن الجدير بالذكر إنّ نيسابور المدينة التي ولد فيها الإمام مسلم كانت من أهم المدن العلمية في العالم الإسلامي كلِّه في ذلك الوقت، وتحديدًا في علم الحديث النبوي، حتّى أنّ السخاوي وصفها قائلًا: "دار السنّة والعوالي"، واتّفق المؤرخون عبر العصور في تاريخ وفاة الإمام مسلم، بيد أنّهم اختلفوا في تاريخ ولادته، وفي ولادته أربعة أقوال: قول يقول إنّه ولد سنة 201 للهجرة، وهذا ما ذهب إليه الإمام شمس الدين الذهبي وابن العماد الحنبلي، وقول آخر يشير إلى أنّ ولادة مسلم كانت في عام 202 للهجرة، ومن المؤرخين من قال إنّ الإمام مسلم ولد عام 204 للهجرة وهذا ما جاء في كتاب تذكرة الحفاظ وسير أعلام النبلاء، وقال به العسقلاني وابن كثير، وقول يقول إنّ مسلم ولد سنة 206 للهجرة، وهذا ما قال به الحاكم النيسابوري، قال: "توفي مسلم بن الحجاج

-رحمه الله- عشية يوم الأحد ودفن يوم الاثنين لخمس بقين من رجب سنة إحدى وستين ومائتين وهو ابن خمس وخمسين سنة"، وقال قال ابن الصلاح: "أن مولده كان في سنة ست ومائتين"، والله تعالى أعلم.

حياة الإمام مسلم

عاش الإمام مسلم بن الحجاج النيسابوري حياته في طلب العلم، فسمع الحديث من شيوخ بلده، وارتحل في الأمصار يطلب العلم من علماء بلاد المسلمين الأُخرى، فأخذ عن كثير وأخذ عنه كثيرون أيضًا، ومنهم: "الإمام الترمذي وأبي حاتم الرازي وموسى بن هارون وأحمد بن سلمة وابن خزيمة ويحيى بن صاعد ومحمد بن مخلّد، وعبد الرحمن بن أبي حاتم، وإبراهيم بن محمد بن سفيان"، وقد عمل الإمام مسلم في حياته أيضًا بالتجارة، يبيع الأقمشة والثياب في متجره بخان محمش، قال محمد بن عبد الوهاب الفراء عن عمل الإمام مسلم: "وكان -رحمه الله- بزازًا" وبزازًا أي بائع أقمشة وثياب، وقد عُرف عنه أنّه كان يملك ثروة يسيرة مكّنته من السفر بحثًا عن العلم من الأئمة، ولم تلهه تجارته عن طلب العلم، فقد روي عنه أنّه كان يحدث بحديث رسول الله -صلّى الله عليه وسلّم- في مكان تجارته، قال الحاكم النيسابوري: "قال أبي: رأيت مسلم بن الحجاج يحدث بخان محمش"، أمّا صفاته الجسدية فقد ذكرها الحاكم النيسابوري أيضًا في قوله: "كان تام القامة أبيض الرأس واللحية يرخي طرف عمامته بين كتفيه"، وقال أبو عبد الرحمن السلمي: "رأيت شيخًا حسن الوجه والثياب، عليه رداء حسن وعمامة قد أرخاها بين كتفيه، فقيل: هذا مسلم، فتقدم أصحاب السلطان، فقالوا: قد أمر أمير المؤمنين أن يكون مسلم بن الحجاج أمام المسلمين، فقدّموه في الجامع، فكبّر وصلى بالناس"، وقد عُرف عنه الورع والتُّقى؛ حتّى أنّه لم يغتبْ أحدًا طيلة حياته، قال عبد العزيز الدهلوي: "إنه ما اغتاب أحدًا في حياته ولا ضرب ولا شتم"، والله أعلم.

رحلة الإمام مسلم في طلب العلم

لا يمكن أن يأتي العلم دون عمل، ودون تعب وجهد يقدِّمه المرء حتّى يحوز من العلم ما أراد وما ابتغى، وهذا قانون الإمام مسلم الذي طبّقه في حياته العلمية، فقد سافر وارتحل طلبًا للعلم وبحثًا عن المعرفة، فوصفه الإمام النووي بأنّه واحد من الرّحالة الذين طلبوا العلم من أئمة مختلف البلاد العربية، فسمع في مدينته نيسابور من يحيى بن يحيى التميمي ومن إسحاق بن راهوية ومن غيرهم، وفي عام 220 للهجرة سافر أولى رحلاته خارج بلاده بحثًا عن العلم، فذهب غلى مكة المكرمة ليؤدي فريضة الحج وفي المدينة المنورة

سمع من إسماعيل بن أبي أويس، وفي مكة سمع من القعنبي وهو أحد أكبر شيوخ الإمام مسلم، كما سمع من سعيد بن منصور ومن أبي مصعب الزهري، وسمع من أحمد بن حنبل ويحيى بن صاعد ومن محمد بن مخلد، ثمّ رجع إلى بلده وفي عام 230 للهجرة ارتحل إلى بلاد الشام وهناك سمع من محمد بن خالد السكسكي، وإلى مصر حيث سمع من عمرو بن سواد وحرملة بن يحيى وسافر إلى الري أيضًا وإلى بغداد، ولعلّ أبرز مراحل حياته العلمية هي الفترة التي التزم فيها مع شيخه ومعلمه محمد بن إسماعيل البخاري، والفترة التي ألّف فيها وجمع ما جمع في صحيحه، وفيما يأتي تفصيل في هاتين المرحلتين:

علاقة الإمام مسلم بالبخاري

لازم الإمام مسلم الإمام البخاري، وكان يعظِّمه ويجلُّه ويعده قدوة في العلم، يقول محمد بن يعقوب عن الطريقة التي كان يتعامل فيها مسلم مع البخاري: "رأيت مسلم بن الحجاج بين يدي البخاري يسأله سؤال الصبي"، وقد اشتدّت علاقة مسلم بالبخاري حتّى أنّه لازمه مثل ظلِّه، فلمّا زار البخاري نيسابور عام 250 للهجرة لم يفارقه مسلم أبدًا، فانتفع من علمه كثيرًا، حتّى أنّ الدارقطني يقول: "لولا البخاري ما راح مسلم ولا جاء"،ويقول ابن تيمية أيضًا: "اتفق العلماء على أن البخاري أجل من مسلم في العلوم، وأعرف بصناعة الحديث، وأن مسلمًا تلميذه وخريجه، ولم يزل يستفيد منه ويتبع آثاره"، ولا بدّ من القول إنّ مسلم لم يرو عن البخاري في صحيحه لأنّه لازم البخاري بعد أنّ أتمّ صحيحه.

صحيح مسلم

يُعدُّ صحيح الإمام مسلم من أهم كتب علم الحديث عند أهل السنة والجماعة، وهو ثالث الكتب من حيث الصدق بشكل مطلق بعد القرآن وصحيح البخاري، ويضم صحيح مسلم جميع أبواب الحديث كالعقيدة والأحكام والآداب والمناقب والتاريخ وغيرها،[٦]وقد توخّى الإمام مسلم الحذر في جمع الأحاديث في هذا الكتاب، فم يجمع إلّا الصحيح فقط، فلم يرو المعلقات ولا الموقوفات، وقد استغرق جمع هذا الكتاب خمسة عشرة سنة من عمر مسلم، وجمع فيه ما يزيد عن ثلاثة آلاف حديث نبوي غير مكرر، وقد جمع هذه الأحاديث من بين ثلاثمائة ألف حديث كان يحفظها عنده، والله تعالى أعلم. مؤلفات الإمام مسلم لقد ألّف الإمام مسلم كُتبًا كثيرة، ضاع وفُقد منها الكثير، وبقي منها اليوم عدد لا بأس به، ولعلّ أبرز مؤلفات الإمام مسلم الموجودة اليوم: "الجامع الصحيح المعروف باسم صحيح مسلم، كتاب الكُنى والأسماء،

كتاب التمييز الذي وضّح فيه كيفية نقد الحديث عند المحدثين، وقد فُقد من كتاب التمييز جزء كبير، ومن مؤلفاته كتاب رجال عروة بن الزبير وجماعة من التابعين، كتاب المنفردات والوحدان، كتاب الطبقات، أو ما عُرف باسم طبقات مسلم" أمّا كُتب مسلم التي فُقدت فهي كثيرة، ومن أبرزها: "كتاب طبقات التابعين، كتاب طبقات الرواة، كتاب العلل، كتاب أسماء الرجال، كتاب أولاد الصحابة ومن بعدهم من المحدثين، كتاب أوهام المحدثين، كتاب رواة الاعتبار، كتاب مسند حديث مالك"، والله تعالى أعلم.

وفاة الإمام

مسلم بعد حياة طويلة في طلب العلم والتأليف والتصنيف، توفّي الإمام مسلم النيسابوري في يوم الأحد، في الخامس والعشرين من رجب من عام 261 هجرية وهو ما يوافق عام 875 ميلادية، وتمّ دفنُه في رأس ميدان زياد في نصر آباد بظاهر نيسابور، ولم يكن له في ذريته أولاد ذكور، وقد قال الإمام الذهبي في سبب وفاته: "عُقِدَ لأبى الحسين مسلم بن الحجاج مجلس للمذاكرة، فذُكِرَ له حديثٌ لم يعرفه، فانصرف إلى منزله وأوقد السراج، وقال لمن في الدار: لا يدخل أحد منكم هذا البيت، فقيل له: أهديت لنا سلة فيها تمر، فقال: قدموها إليّ فقدموها إليه فكان يطلب الحديث ويأخذ تمرة تمرة فيمضغها فأصبح وقد فني التمر ووجد الحديث، وقال الحاكم: زادنى الثقة من أصحابنا أنه منها مات"، والله تعالى أعلم.

حياة الشاه ولي الله الدهلوي

ولد الإمام الدهلوي صباح يوم الأربعاء في ٤ شوال ١١١٤ هـ/ ٢١ فبراير١٧٠٣م في بيت أخواله بقرية 'فلت (Fulth) 'في مديرية مظفر نكر. أبوه 'الشيخ عبد الرحيم' كان عالما ماهرا في علوم مختلفة. وله في ذلك الوقت ستون سنة. وكانت أمه 'نخر النساء' كريمة تقية ترعى أولادها بالرعاية العظيمة وتربيهم في ظلال الشريعة. كانت تمتاز ببراعة فائقة في العلوم الدينية. قلما توجد في مثلها من النساء. ولهذه الأم الحنونة العالمة مساهمة كبيرة في تربية الإمام الدهلوي، وكان هدف أمه أن يصبح ابنها عالما كبيرا. وكذلك رباه والده تربية صوفية على طريقةالقادرية والجشتية والنقشبندية. ثم أكمل تربيته الروحية تحت رعاية الخواجه خورد بن الخواجه باقي بالله شيخ مجدد الألف الثاني.

كان أسلاف الدهلوي مهاجرين من بلاد العرب إلى إيران لأسباب ليست معروفة. وبعد ذلك سافر أسلاف الدهلوي إلى الهند واستوطنوا في قرية »رهتاك (» (Rohtak بسبب احتلال التاتار إيران والعراق، وبسبب الفساد والقتل الدمار الذي أحدثوه فيهما. كان جده جنديا شجاعا في جيش 'مغول' ومحبا كبيرا للقرآن. وبعد أن استشهد والد عبد الرحيم تولى تعليم عبد الرحيم وتربيته أخوه الكبير الشيخ أبو الرضا محمد. وعبد الرحيم كان تلميذا للعالم العظيم والصوفي زاهد الهروي. فقرأ عليه وعلى غيره من الأساتذة المشهورين العلوم العربية والإسلامية ودروس التصوف والسلوك. وصقل ما اكتسبه من أساتذته من علوم وفنون بذكائه وفطنته وجودة ذهنه وعمله المتواصل. فصار عبد الرحيم مشهورا بمعرفته العميقة وبراعته في العلوم الشرعية. ولذلك منحته الحكومة وظيفة مراجعة الفتاوى العالمكيرية التي تولاها الشيخ عبد الرحيم متبعا أمر أمه. واشتهر بعد

ذلك بالمدرسة الرحيمية في دلهي التي هي مقدم دار العلوم الديوبند الحالية. ونشأ الشاه ولي الله في بيت هذا الأب الكريم ورعاية هذا المعلّم المشهور وسما إلى المستويات العالية.
أدخله أبوه في الكتّاب في الخامسة من عمره، وبعد سنتين تعلم القراءة والكتابة. وحفظ القرآن الكريم في أواخر هذه السنة. وبدأ قراءة الكتب الفارسية والكتب الابتدائية المختصرة في العربية. ولما كان في السنة الرابعة عشرة من عمره تزوج بابنة خاله (أمة الرحيم) 'الشيخ عبد الله الصديقى الفلتي'. وفرغ من دراسة الكتب المدرسية المتداولة في الهند في مختلف العلوم والفنون في هذه السنة نفسها. وحصل من والده على إجازة التدريس والتعليم فبدأ التدريس في مدرسة أبيه 'المدرسة الرحيمية' المشهورة حينذاك.
ولما بلغ السابعة عشرة من عمره مرض والده، وفي هذا المرض وافاه الأجل. فأجازه والده قبل وفاته بأخذ البيعة وأذن له بالتوجيه والإرشاد. يقول الدهلوي:
«بعد أن توفي الوالد اشتغلت بتدريس الكتب الدينية والعقلية لمدة تقارب اثنتي عشرة سنة فتضلعت في العلوم بأنواعها. وكلما قمت بالمراقبة الروحية والتأمل لدى قبر الوالد انحلت مسائل التوحيد وفتحت أبواب السلوك وظفرت بالنصيب الوافر من المعرفة وازدحمت العلوم الوجدانية في ذهني. وبعد دراسة المذاهب الأربعة وكتبها الأصولية والأحاديث التي تستدل عليها هذه المذاهب عرفت بنور البصيرة ان الطريق هو طريق الفقهاء المحدثين».
ولما كان في الثلاثين من عمره رحل إلى الحرمين الشريفين سنة ١١٤٣هـ / ١٧٣٠ م، وأدّى فريضة الحج في تلك السنة ومرة أخرى في السنة التالية. وأقام في الحجاز نحو عامين. فحصلت له فرص واسعة للتعلم من العلماء الماهرين في الحديث خاصة والعلوم الأخرى عامة. فتلمّذ على الشيخ أبي طاهر المدني. وقرأ عليه أطرافا من الكتب الصحاح الستة والموطأ والمسند للدارمي وكتاب الآثار للإمام محمد ونال منه إجازة بقية الكتب

وتلمّذ أيضا على الشيخ وفد الله، وأيضا على الشيخ تاج الدين القلعى الحنفي الذي كان مفتيا بمكة المكرمة، وكان متبحرا في علوم الحديث والتفسير والفقه فسمع منه الصحاح الستة والموطأ وغيرها. وأعطاه الشيخ إجازة رواية الحديث ولم يكتف بإجازة شفوية فقط بل كتبها بقلمه على ورقة. يدل هذا على ورعه ودقة نظره وعلى شوقه إلى حصول العلوم.

وبعد سنتين عاد من الحرمين الشريفين في رجب ١١٤٥ ه / يونيو ١٧٣٢م. واستأنف أيضا عملية التدريس في المدرسة الرحيمية. وظل يتبع تدريس الحديث الشريف زمنا طويلا بأسلوب يتسم بالروعة والعظمة. واشتغل في تدريس الطلاب بكل جهد وشغف حتى لا يعطي للأعمال الأخرى مثل الوعظ والإفتاء وفصل الخصومات إلا وقتا يسيرا. وكان يربي الطلاب تربية روحية ويؤدبهم بآداب السلوك والطريقة. وكان شغله الشاغل وتركيزه الكامل في هذه الفترة هو صناعة الرجال وتكوين الشخصيات. فازداد عدد الطلاب الذين يجيئون إليه بعد عودته من الحرمين الشريفين زيادة ملحوظة حتى من خارج البلد. وهذه الحقيقة مما يدعو إلى الإعجاب وإثارة الدهشة. تعرف مكانة الدهلوي بكثرة تلاميذه وغزارتهم العلمية وقدرتهم على التصنيف والتأليف وبراعتهم في الدرس والإفادة، كما تعرف بعض الأشجار بثمارها. وبعد ثلاثين سنة من حياته الأخيرة أوقف عملية التدريس والإفادة العامة تدريجيا.

أشرنا إلى زواجه الأول لما كان في الرابعة عشر من عمره من ابنة خاله التي أنجبت له ابنا يسمى محمد. وبعد وفاة هذه الزوجة الأولى تم زواج الدهلوي بكريمة السيد ثناء الله السونيبتي المسماة 'السيدة أرادت.' وأنجبت له أبناءه الأربعة المعروفين: الشاه عبد العزيز، والشاه رفيع الدين عبد الوهاب، والشاه عبد القادر، والشاه عبد الغني وبنتا واحدة.

وفاته

قال ابنه عبد العزيز الدهلوي عن وفاة والده الشاه ولي الله الدهلوي: «إن الوالد الماجد لم يكن يعتل إلا قليلا لكنه أصيب بمرض في بداية ذي الحجة سنة ١١٧٥ هـ / أواخر يونيو ١٧٦٢ م فاشتد مرضه، وكانت بدايته في قرية 'بدهانه' من مديرية مظفربور. فلما طال المرض جيء به إلى دهلي في التاسع من ذي الحجة سنة ١١٧٥ هـ/ يوم الأول من يوليو ١٧٦٢ م حيث نزل في بيت واحد من مريديه اسمه بابا فضل الله الكشميري في داخل أسوار جامع روشن الدولة، وقد بذل الأطباء جهدهم في مداواته ولكن الداء ظل يشتد وأخيرا حان الأجل المحتوم ولفظ نفسه الأخير وقت الظهيرة ٢٩ محرم ١١٧٦ هـ / ٢٠ أغسطس ١٧٦٢م.« فصح قول الله جل وأعز 'كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ'. وإنه مات من فوق الأرض لكنّه يحي بيننا كما قال الشاعر:

والجاهلون فماتوا قبل موتهم والعالمون وإن ماتوا فأحياء

أسماؤه:

إذا بحثنا عن الأحوال السياسية في ذلك الزمان وجدنا أن قوة ملوك المغول أخذت في الضعف والانحسار في الهند في القرن الثامن عشر الميلادي وانكسفت شموس أهل الإسلام في هذه المنطقة. ووجدنا الناس يطلقون لقب 'عظيم الدين' على هذا العالم، ولقبوه ب'ولي الله' و'قطب الدين' تيمنا ببركة الاسم. فصار 'ولي الله' في الحقيقة بقضاء الله داخل الهند وخارجها.

الحديث

الحديث أيضا مصدر عظيم تأثر به الدهلوي كثيرا. يقول الأستاذ محمد ياسين مظهر الصديقي: »إن رأيه في تدوين الحديث واضح جدا، هو أن الأحاديث لم تدون في الصدر الأول وبدأ الإهتمام بكتابتها بعد القرن الأول للهجرة وتم انجاز هذا العمل بعد القرن

الثاني ٣٨.« وأعطى كل فضيلة في تدوين الحديث للإمام مالك لمّا قال الدهلوي بأنه أصل كتب الحديث والفقه فبقية كتب الحديث كلها شروح للموطأ وتليه في الرتبة.

وقد أقام الدهلوي الدلائل الحاسمة السديدة على فضيلة الموطأ ورفعة قدره ومنها: (١) معظم رواته من أهل المدينة (٢) كلهم معروفون ومجمع على ثقتهم وعدالتهم (٣) عدد الرواة أقل من الثلاثة أو الأربعة (٤) معظم رواته ممن تسلم عمر (ر) بأقضيتهم وفتاواهم. وقد تهيأ الإمام الدهلوي للتوفيق بين الأحاديث المتعارضة في ظاهرها. وفي الواقع هذا العمل ٣٩ صعبة للغاية. ولكن طبق الدهلوي بين الأحاديث الصحاح تطبيقا عمليا لا يوجد له نظير في الهند، ويدل هذا على قوّته ورفعة مكانه. يقول الأستاذ محمد ياسين مظهر الصديقي:

«وبهذا التبحر والإلمام يصير الباحث متمكنا من فقه الحديث ومطلعا على أسراره وخبيرا بدخائله. وقد قام قبل الدهلوي الإمام الغزالي في 'الإحياء' والإمام عز الدين بن عبد السلام في 'القواعد الكبرى' وغيرهما من المحدثين بقدر ما توفرت لهم من إمكانيات بإزاحة الستائر عن أسرار الأحاديث ولكنهم لم ينجحوا كثيرا وكانت نسبة نجاحهم ضئيلة جدا. وقد اختصّ الله الدهلوي بهذا العمل الجليل وأودع فيه صلاحيات هائلة وكفاءات جبارة لتحقيقه وكشف أسرار الدين وإدراك كنه الحديث الشريف واستجلاء روحه. وتوجد نماذج كثيرة لتبحره العلمي في كتبه ومؤلفاته، غير أن عمله العبقري في هذا المجال هو كتابه 'حجة الله البالغة'. ولم يترك فيه بابا من أبواب الدين والاجتماع إلا وطرقه لحل عقدهما وعالج مشاكلهما.